أُمَّهَاتُ المُؤمِنِين

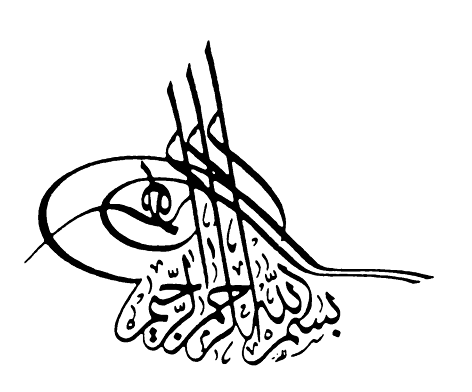
«رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ»

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

أُمَّهَاتُ المُؤمِنِين

«رَضِيَ اللَّهُ عَنهُنَّ»



الطبعة الأولى

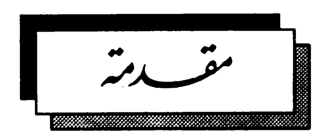
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)

دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧

عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥



الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسّلام علىٰ رسول الله محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ دربه إلىٰ يوم الدين *أما بعد*:

فإن الأم العاقلة الواعية الراشدة هي التي تستطيع أن تُربّي أبناءها التربية القويمة، وتُوجّههم التوجيه الصحيح، وتُعلّمهم العلم النافع، وتأخذهم علىٰ الطريق السليم بسلوكها المستقيم، وكلامها الموزون، ومعاملتها الحسنة، وتصرّفها مع الآخرين تصرّف الحكمة والأدب، ومعاملتها مع الجوار بما يأمر به الإسلام. ومن هذه الأسرة يكون البيت المثالي، والأفراد القدوة، وأعمدة بناء الأمة.

وإن أفضل البيوت بيوت أنبياء الله، فصاحبها قدوة البشر، وعليه تتنزّل الأحكام، ومنه يُؤخذ التوجيه، ويُقبل النُّصح، وبرأيه تُدار الأمور علىٰ أفضل ما يكون وتُرعىٰ الشؤون بأحسن الوسائل، وتكون النتائج الطيّبة، وتعمّ الفضائل، وتسود المكارم.

وإن أقرب الناس إلىٰ القدوة هم أهل داره، وأقرباؤه، وأصدقاؤه فهم الذين يُعاملهم ويُعاملونه، يُوجّههم ويتلقّون منه، يدعوهم ويقبلون منه. وإذا كانت دعوته وتوجيهه للبشر كافةً إلا أن هؤلاء أقرب جواراً، وأكثر صلةً، وأمتن ارتباطاً.

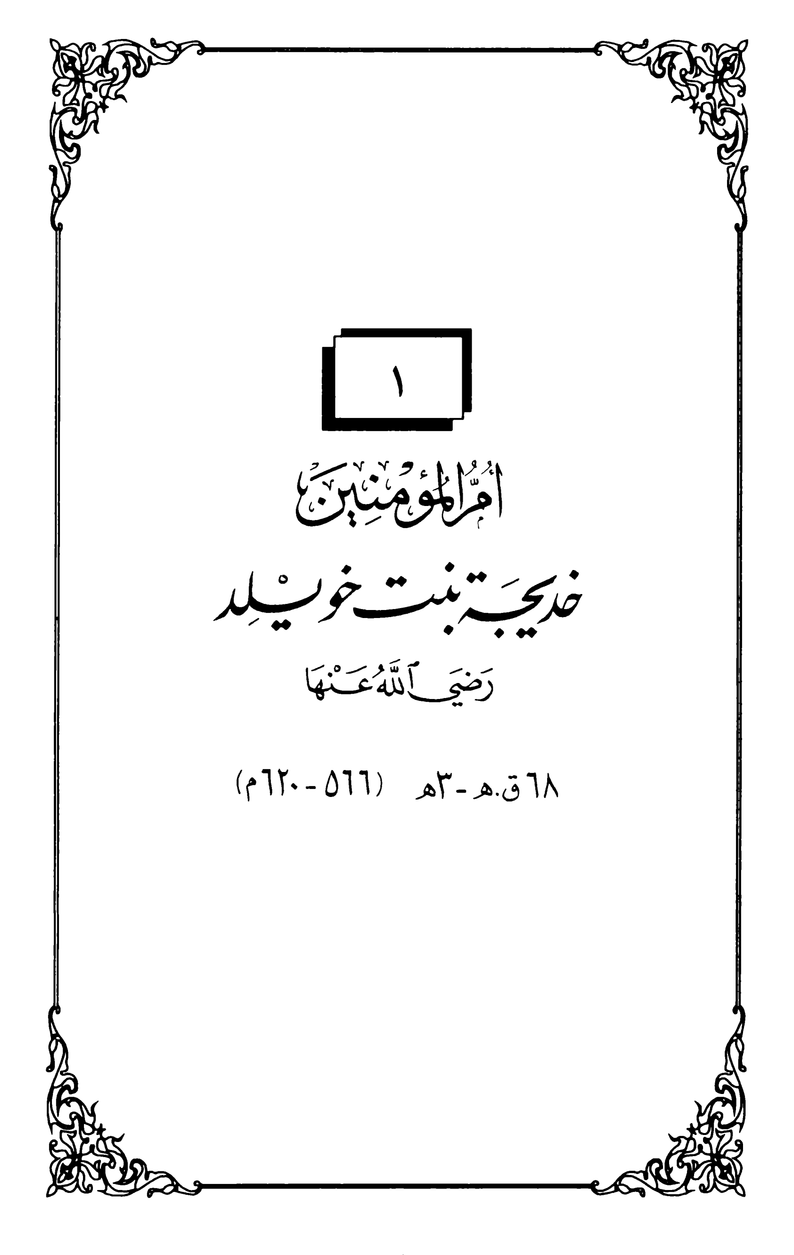
وإذا عرض التاريخ حياة الأصحاب، رضي الله عنهم، بصورةٍ أوسع، وشرحٍ أطول، وتكرارٍ أكثر نتيجة الجهاد، والسير والترحال، والعمل والمعاملات فإنه يجب علينا أن نُقدّم أيضاً تاريخ أهل البيت لنعرف قدوة النساء، ونُعطي ساكنات البيوت النماذج الطيّبة لهنّ، ونزيد المجتمع معرفةً، ونُعطي الخلق الأمثلة الفاضلة من النساء.

نرجو من الله أن يمنحنا القدرة لتقديم ما نبغي، ويفتح نفوس طلّاب الخير للتلقّي والفائدة فهو الخالق البارئ المصوّر، القادر علىٰ كل شيءٍ، القاهر لكل عدوٍّ، المُبْطِل لتصميمات الكفّار، الفعّال لما يُريد، فعليه نتوكّل، وبه نستعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرياض: غرّة شهر المحرم ١٤٢٥هـ.
٢١ شباط ٢٠٠٤م.

محمود شاكر



١

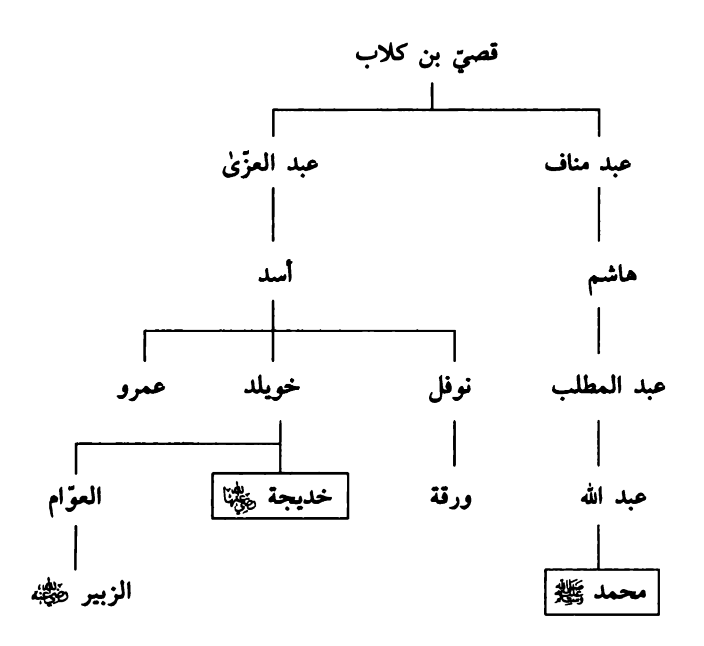
أم المؤمنين

خديجة بنت خويلد

رضي الله عنها

٦٨ ق.هـ - ٣هـ (٥٦٦ - ٦٢٠م)

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّىٰ بن قصيّ بن كلاب، من قبيلة قريشٍ، تلتقي مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بالجدّ الثالث بالنسبة لها والرابع بالنسبة لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. وهي عمّة الزبير بن العوّام، رضي الله عنه. وأُمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش).



وُلدت خديجة، رضي الله عنها، في مكّة سنة ٦٨ قبل الهجرة (٥٥٦م)، وتوفي أبوها عام الفجّار سنة ٣٣ قبل الهجرة (٥٩١م) أي كان عمرها، رضي الله عنها، خمساً وثلاثين سنةً.

تزوّجت خديجة، رضي الله عنها، بأبي هالة بن زرارة التميمي، فمات عنها.

كانت خديجة، رضي الله عنها، امرأةً تاجرةً ذات شرفٍ ومالٍ، وتستأجر الرجال لتجارتها بشيءٍ من التجارة تجعله لهم. وكانت قبيلة قريشٍ قوماً تُجّاراً.

لما بلغ خديجة، رضي الله عنها، ما بلغها عن رسول الله محمد، صلىٰ الله عليه وسلم، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت أن يخرج في مالٍ لها إلىٰ الشام تاجراً، وتُعطيه أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجارة، مع غلامٍ لها يُقال له ميسرة، فقبله رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، منها، وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره، وهي قد بلغت الأربعين، فهي إذن أكبر منه سنّاً بخمس عشرة سنةً.

خرج رسول الله محمد، صلىٰ الله عليه وسلم، تاجراً في مال خديجة، رضي الله عنها، وخرج معه

غلامها ميسرة حتىٰ قدِم الشام، فنزل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في ظلّ شجرةٍ قريباً من صومعة راهبٍ من الرهبان، فاطّلع الراهب إلىٰ ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريشٍ من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلا نبيّ.

باع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بضاعته التي خرج بها، واشترىٰ ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلىٰ مكة ومعه ميسرة. فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ، يرىٰ مَلَكَين يُظلّان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من الشمس ـ وهو يسير علىٰ بعيره ـ فلما قدِم مكة علىٰ خديجة بمالها، فباعت ما جاء به فكان ضعف سعره تقريباً. وحدّثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يراه هو من إظلال المَلَكَين له.

كانت خديجة، رضي الله عنها، امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به، بعثت إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقالت له: يا ابن عمّ، إني قد رغبت فيك لقرابتك، ووسطيتك في قومك، وأمانتك، وحسن خُلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها.

لما قالت خديجة، رضي الله عنها، ذلك لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، حتىٰ دخل علىٰ عمّها عمرو بن أسد[1]، فخطبها إليه فتزوجها. كما قيل: إن أبا طالب عمّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، هو الذي نهض مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لخطبة خديجة، رضي الله عنها، وهو الذي خطب خطبة النكاح، وكان مما قاله في الخطبة: أما بعد:

فالحمد لله الذي جعلنا من ذُرّية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئي معدٍ، وعنصر مضرٍ، وجعلنا حضنة بيته، وسُوّاس حرمه، وجعله لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله، وهو ممن لا يُوازن به فتىً من قريشٍ؛ إلا رجح به شرفاً ونُبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قلّة، فإنما المال ظلّ زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة،

---

(١) إن أبا خديجة خويلد بن أسد كان قد توفي منذ خمس سنوات أيام حرب الفجار.

ولها فيه مثل ذلك، وقد خطب إليكم رغبةً في كريمتكم خديجة، وقد بذل لها من الصداق (كذا)، وعلىٰ ذلك تمّ الأمر.

وقد عاش، صلىٰ الله عليه وسلم، مع خديجة، رضي الله عنها، حياةً زوجيةً هادئةً مثاليةً، وقد عرف كل صاحبه معرفةً حقّةً عن قربٍ، فعرفت خديجة، رضي الله عنها، في زوجها الرجل المثالي في الصدق، والأمانة، والكرم، والوفاء، والمحبة، والخير، وهذا ما سيكون له أكبر الأثر في المستقبل.

كانت خديجة، رضي الله عنها، قد ذكرت لابن عمّها ورقة بن نوفل، وكان نصرانياً قد تتبع الكتب، من علم الناس ذكرت له ما ذكره لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرىٰ منه إذ كان المَلَكان يُظلّلانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة، فإن محمداً لنبيّ هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيّ يُنتظر، هذا زمانه.

وقد استبطأ ورقة بن نوفل نبوة محمد، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال:

لَججتُ وكنتُ في الذكرىٰ لجوجاً

لِتهمٍّ طالما بعث النشيجا

ووصف من خديجة بعد وصفٍ
فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكّتين علىٰ رجائي
حديثك أن أرىٰ منه خروجا
مما خبّرتنا من قول قسٍّ
من الرهبان أكره أن يعوجا
بأنّ محمداً سيسود فينا
ويخصم من يكون له حجيجا
ويَظهر في البلاد ضياءُ نورٍ
يُقيم به البريّة أن تموجا
فيلقىٰ من يُحاربه خسارا
ويلقىٰ من يُسالمه فلوجا
فيا ليتني إذا ما كان ذاكمُ
شَهِدتُ فكنتُ أَولهم وُلُوجا
ولوجاً في الذي كرهت قريش
ولو عجّت بمكّتها عجيجا
أُرجّي بالذي كرهوا جميعاً
إلىٰ ذي العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمر السفالة غير كفرٍ
بمن يختار من سَمَك البروجا

فإن يبقوا وأَبْقَ تكن أمور
يضجّ الكافرون لها ضجيجا
وإن أَهْلِكْ فكل فتىً سيلقىٰ
من الأقدار متلفةً حَروجا

وخديجة، رضي الله عنها، أول امرأةٍ تزوّجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ولم يتزوّج عليها غيرها حتىٰ ماتت، رضي الله عنها.

وَلَدت خديجة، رضي الله عنها، لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أولاده كلهم إلا إبراهيم، فأُمّه مارية القبطية التي أهداها المقوقس ملك مصر إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في السنة السابعة للهجرة.

كانت خديجة، رضي الله عنها، قبل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، عند أبي هالة بن مالك، وأنجبت له هالة وهند، وكانت قبل زواجها من أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله المخزومي، وأنجبت له عبد الله.

بقيت خديجة، رضي الله عنها، خمساً وعشرين سنةً عند رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، منها خمس

عشرة سنةً قبل البعثة، وعشرةً بعدها، وتوفيت، رضي الله عنها، في مكة قبل الهجرة بثلاث سنواتٍ، سنة (٦٢١م).

لما نزل الوحي علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يوم ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة، وهو ما يوافق الأول من شهر شباط سنة ٦١٠م، وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد أتمّ الأربعين عاماً من عمره. وقد قالت أُمُ المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: (أول ما بُدئ به رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبّب إليه الخَلاءُ، وكان يخلو بغار حِراء فيتحنّث فيه ـ وهو التعبّد ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلىٰ أهله ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزوّد لمثلها، حتىٰ جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه المَلَك فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ». قال: «فأخذني فغطّني حتىٰ بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطّني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطّني الثالثة، ثم أرسلني

فـقـال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق]». فرجع بها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يرجف فؤاده، فدخل علىٰ خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، فقال: «زمّلوني زمّلوني»، فزمّلوه حتىٰ ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت علىٰ نفسي». فقالت خديجة، رضي الله عنها: كلا، والله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين علىٰ نوائب الحق. فانطلقت به خديجة، رضي الله عنها، حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّىٰ[1] ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبْرانِيَّ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عميَ، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترىٰ؟

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّىٰ بن قصي بن كلاب من قريشٍ: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصّر، وقرأ كتب الأديان، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني، ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء.

فأخبره رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، خبر ما رأىٰ، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جَذَعاً[1]. ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجك قومك. فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «أو مُخرجيّ هم؟»، قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يُدركني يومك انصرك نصراً مؤزّراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي)[2].
توفي ورقة سنة ١٢ قبل الهجرة (٦١٢م).

وقال ابن إسحاق: وحدّثني وهب بن كيسان قال: قال عبيد: فكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يُجاور[3] ذلك الشهر من كل سنةٍ، يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره، الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلىٰ بيته، حتىٰ إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالىٰ به

(١) جَذَعاً: شاباً.
(٢) فتح الباري: ١/٢١ ـ ٢٦ كتاب بدء الوحي.
(٣) يجاور: من المجاورة وهي الاعتكاف إلا من وجهٍ واحدٍ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد.

فيما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله تعالىٰ فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ حِراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتىٰ إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبرائيل، عليه السلام، بأمر الله تعالىٰ.

قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «فجاءني جبرائيل، وأنا نائم. . . . . بِنَمَطٍ من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتّني به حتىٰ ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتّني به حتىٰ ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً منه من أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق]. قال: فقرأتها ثم انتهىٰ فانصرف عني وهببت من نومي، فكأنما كُتبتْ في قلبي كتاباً. قال: فخرجت حتىٰ إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبرائيل، قال: فرفعت رأسي إلىٰ

السماء أنظر، فإذا جبرائيل في صورة رجلٍ صافٌّ قدميه في أُفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبرائيل. قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدّم وما أتأخّر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا أنظر في ناحيةٍ منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدّم أمامي وما أرجع ورائي حتىٰ بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا أعلىٰ مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني.

وانصرفت راجعاً إلىٰ أهلي حتىٰ أتيت خديجة، فجلست إلىٰ فخذها مُضيفاً إليها»، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتىٰ بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدّثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عمّ واثْبُت، فوالذي نفسُ خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلىٰ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّىٰ بن قصيّ، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكُتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أنه رأىٰ وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قدّوس قدّوس، والذي نفس ورقة

بيده لئن كنتِ صدقتيني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسىٰ، وإنه لنبيّ هذه الأمة، فقولي له: فليثبت.

فرجعت خديجة، رضي الله عنها، إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جواره وانصرف، صنع كما كن يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبيّ هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسىٰ ولتُكذبنّه ولتُؤذينّه ولتُخرجنّه ولتقاتلنّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصراً يعلمه، ثم أدنىٰ رأسه منه فقبّل يافوخه، ثم انصرف رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ منزله.

إسلام خديجة، رضي الله عنها:

لما بُعث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كانت زوجه خديجة بنت خويلد أول من آمنت به، وصدّقت بما جاءه من الله، ووازرته علىٰ أمره.

فخفّف الله بذلك عن نبيّه، صلىٰ الله عليه وسلم، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍّ عليه، وتكذيبٍ له، فيُحزنه ذلك إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تُثبّته وتُخفّف عليه، وتُصدّقه وتُهوّن عليه أمر الناس، رضي الله عنها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «أُمرت أن أُبشّر خديجة ببيتٍ من قصبٍ، لا صخب فيه ولا نصب».

وقال ابن إسحاق: وحدّثني من أثق به أن جبرائيل، عليه السلام، أتىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: أقرئ خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «يا خديجة، هذا جبرائيل يُقرئك السلام من ربك»، فقالت خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلىٰ جبرائيل السلام.

وقال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أن الصلاة حين افتُرِضت علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أتاه جبرائيل وهو بأعلىٰ مكة، فهمز له بعَقِبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضّأ جبرائيل،

عليه السلام، ورسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ينظر إليه، لِيُرِيَه كيف الطهور للصلاة، ثم توضّأ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كما رأىٰ جبرائيل توضّأ، ثم قام جبرائيل فصلّىٰ به، وصلّىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بصلاته، ثم انصرف جبرائيل، عليه السلام.

فجاء رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، خديجة، فتوضّأ لها ليُريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبرائيل، فتوضّأت كما توضّأ لها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ثم صلّىٰ بها رسول الله، عليه الصلاة والسلام، كما صلّىٰ به جبرائيل فصلّت بصلاته.

أخذت خديجة، رضي الله عنها، تدعو النساء إلىٰ الإسلام.

سخّرت مالها في سبيل الدعوة، وهي ذات ثروةٍ جيدةٍ. كما وضعت ما تملك تحت تصرّف زوجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

صبرت علىٰ ما نالها ونال المسلمين من أذىً في سبيل الدعوة. وقد طُلِّقت ابنتاها رُقيّة وأم كلثوم، وكانتا تحت ولدَيْ أبي لهب (عبد العزّىٰ بن عبد المطلب) عمّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

كما صبرت علىٰ هجرة ابنتها رقيّة إلىٰ الحبشة مع زوجها عثمان بن عفان، رضي الله عنه، إذ تزوّجها بعد أن طُلّقت من عُتبة بن أبي لهب.

توفيت خديجة، رضي الله عنها، في السنة الثالثة قبل الهجرة (٦٢١م)، وكانت وفاتها ووفاة أبي طالب (عبد مناف بن عبد المطلب) عمّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في عامٍ واحدٍ، فسمّىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليهم وسلم، ذلك العام (عام الحزن).

وظلّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد ذلك يذكرها، ويُكرم كل من يلوذ بها حتىٰ أثار هذا غيرة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، فقالت: ما غِرت علىٰ امرأةٍ للنبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، كما غرت من خديجة لما كنت أسمعه يذكرها ـ وقد هلكت قبل أن يتزوّجني. أمره الله أن يُبشّرها ببيتٍ من قصبٍ[1]. وكان يذبح الشاة فيهدي خلائلها منها ما يسعهن. قالت: فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة. فيقول: «إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد».

---

(١) قصب: اللؤلؤ المجوف.

قالت عائشة، رضي الله عنها: استأذنتْ هالة بنت خويلد، أخت خديجة، علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: «اللهم هالة»، قالت: فغِرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريشٍ، حمراء الشدقين[1]، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها.

وقد نقل عليّ، رضي الله عنه، قول رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في بيان مكانتها: «خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة»[2].

عن عائشة، رضي الله عنها: أن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، كان إذا ذبح الشاة قال: «أرسِلوها إلىٰ أصدقاء خديجة»، فذكرته له يوماً فقال: «إني لأحب حبيبها» ـ «صحيح مسلم» ـ.

وروت عائشة، رضي الله عنها، قالت: جاءت عجوز إلىٰ النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، وهو عندي، فقال لها رسول الله: «من أنتِ؟».

قالت: أنا جثامة المزنية.

---

(١) حمراء الشدقين: سقطت أسنانها، وبقيت حمراء اللثة.

(٢) أي كل منهما، خير النساء في زمنها.

قال: «بل أنت حسانة المزنيّة، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف أنتم بعدنا؟».

قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فلما خرجت، قلت: يا رسول الله، تُقبل علىٰ هذه العجوز هذا الإقبال؟.

قال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان»[1].

أولاد خديجة من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم:

إن أولاد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جميعهم من خديجة، رضي الله عنها، سوىٰ إبراهيم، فمن مارية بنت شمعون القبطية.

أول أولاد خديجة، رضي الله عنها، من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، القاسم، ثم زينب، رُقيّة، أم كلثوم، فاطمة، ثم عبد الله.

١" ـ **القاسم**: أول ولدٍ وُلِد لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وذلك قبل النبوة، وبه يُكنىٰ. وعاش سبعة عشر شهراً، وهو أول من مات من أولاد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

(١) فتح الباري: ١٠/ ٣٦٥، والحاكم في «المستدرك» ١/ ١٥ ـ ١٦.

٢" ـ **زينب**: ولدت سنة ٢٣ قبل الهجرة (٦٠١م)، وتزوجها أبو العاص بن الربيع بناءً علىٰ رغبة أمها خديجة، رضي الله عنها، إذ هو ابن أختها، وتعدّه بمنزلة ولدها، وعُرف بالأمانة عند رجال مكة، وهو صاحب مالٍ وتجارةٍ. وقد بقي علىٰ جاهليته علىٰ حين كانت خالته خديجة، رضي الله عنها، قد أسلمت هي وبناتها.

وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد زوّج ابنتيه رُقيّة وأم كلثوم إلىٰ عُتبة وعُتيبة ولدَيْ عمّه أبي لهب. وتأثّر رجال قريشٍ كثيراً من هذا الزواج، فذهبوا إلىٰ أسرة أبي لهب وقالوا لهم: إنكم قد فرّغتم محمداً من همّه، فرُدّوا عليه بناته، فاشغلوه بهنّ. فمشوا إلىٰ أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبتك ونحن نُزوّجك أي امرأةٍ من قريشٍ شئت؛ قال: لا، والله إني لا أفارق صاحبتي، وما أُحب أن لي بامرأتي امرأةً من قريشٍ. وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يثني عليه في صهره خيراً. ثم مشوا إلىٰ عُتبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلِّق بنت محمد، ونحن نُنكحك أيّ امرأةٍ من قريشٍ شئت، فقال: إن زوّجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها، فزوّجوه بنت

سعيد بن العاص، وفارقها، ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها، وهواناً له، وخلف عليها عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بعده[١].

وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لا يُحلّ بمكة ولا يُحرّم، مغلوباً علىٰ أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع، إلا أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كان لا يقدر أن يُفرّق بينهما، حتىٰ هاجر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فلما سارت قريش إلىٰ بدر كان معهم أبو العاص بن الربيع فوقع في الأسر يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيىٰ بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة، رضي الله

---

(١) كانت رقية بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد خُطبت لعُتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم لعُتيبة، فطلقاهما بعزم أبيهما وأمهما حين نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ فأما عُتيبة فدعا عليه النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، أن يُسلّط عليه كلباً من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه، وهم حوله نيام، وأما عُتبة ومعتب ابنا أبي لهب، فأسلما ولهما عقب.

عنها، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أُسرائهم، بعثت زينب بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في فداء أبي العاص بن الربيع بمالٍ، وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت خديجة، رضي الله عنها، أدخلتها بها علىٰ أبي العاص حين بنىٰ عليها، قالت: فلما رآها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، رقّ لها رقّةً شديدةً، وقال: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا»، فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها.

قال: وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد أخذ عليه، أو وعد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ذلك، أن يُخلّي سبيل زينب إليه، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فيُعلم ما هو، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلىٰ مكة وخُلِّيَ سبيله، بعث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: «كونا ببطن يأجَج حتىٰ تمرّ بكما زينب، فتصحباها حتىٰ تأتياني بها». فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدرٍ بشهر أو قريبٍ منه، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تجهّز.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حُدّثت عن زينب أنها قالت: بينما أنا بمكة للحوق بأبي لقيتني هند بنت عُتبة، فقالت: يا بنت محمد، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ قالت: قلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاعٍ مما يرفُق بك في سفرك، أو بمالٍ تتبلغين به إلىٰ أبيك، فإن عندي حاجتك فلا تضطني[1] مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت إلا تفعل، قالت: ولكني خِفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك، وتجهّزت.

فلما فرغت بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من جهازها قدّم لها حَموها كنانة بن الربيع بعيراً، فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها، وهي في هودجٍ لها. وتحدّث بذلك رجال من قريشٍ، فخرجوا في طلبها حتىٰ أدركوها بـ(ذي طوىٰ)، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّىٰ، والفهري، فروّعها

(١) تضطني: تستحي.

هبّار بالرمح وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملاً ـ فيما يزعمون ـ فلما ريعت طرحت ذا بطنها، وبرك حموها (كنانة)، ونثر كنانته، ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتكركر الناس عنه. وأتىٰ أبو سفيان في جلّةٍ من قريشٍ، فقال: أيها الرجل، كفّ عنا نَبلك حتىٰ نكلمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حتىٰ وقف عليه، فقال: إنك لم تُصب، خرجت بالمرأة علىٰ رؤوس الناس علانيةً، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمدٍ، فيظنّ الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية علىٰ رؤوس الناس من بين أظهرنا، أن ذلك عن ذلٍّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف ووهن، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجةٍ، وما لنا من ذلك من ثؤرة، ولكن ارجع بالمرأة، حتىٰ إذا هدأت الأصوات، وتحدّث الناس أن قد رددناها، فسلّها سرّاً، وألحقها بأبيها، قال: ففعل، فأقامت ليالي، حتىٰ إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتىٰ أسلمها إلىٰ زيد بن حارثة وصاحبه، فقدِما بها علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

ولما انصرف الذين خرجوا لقيتهم هند بنت عتبة، فقالت لهم:

أفي السلم أعيار[1] جفاءً وغِلظة
وفي الحرب أشباه النساء العوارك[2]

وقال كنانة بن الربيع في أمر زينب:

عجبت لهبّارٍ وأوباش قومه
يريدون إخفاري ببنت محمد
ولست أُبالي ما حييت عديدهم
وما استجمعتْ قبضاً يدي بالمهنّد

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي خبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشجّ، عن سليمان بن يسار، عن أبي إسحاق الدوسي، عن أبي هريرة، قال: بعث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، سريةً أنا فيها، فقال لنا: «إذا ظفرتم بهبّار بن الأسود، أو الرجل الذي سبق معه إلىٰ زينب ـ قال ابن هشام وقد سمّىٰ ابن إسحاق الرجل في حديثه، وقال: هو نافع بن عبد قيس ـ فحرّقوهما بالنار». قال: فلما كان الغد بعث إلينا، فقال: «إني كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يُعذّب

(١) أعيار: حمير.
(٢) العوارك: الحيّض.

بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما».

قال ابن إسحاق: وأقام أبو العاص بن الربيع بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بالمدينة، حين فرّق بينهما الإسلام، حتىٰ إذا كان قبيل الفتح، خرج أبو العاص تاجراً إلىٰ الشام، وكان رجلاً مأموناً، بمالٍ له وأموالٍ لرجالٍ من قريشٍ، أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته، وأقبل قافلاً، لقيته سريّة لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السريّة بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتىٰ دخل علىٰ زينب بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فاستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ـ كما حدّثني يزيد بن رومان ـ فكبّر وكبّر الناس معه، صرخت زينب من صُفّة النساء: أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع. قال: فلما سلّم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من الصلاة أقبل علىٰ الناس، فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «أما والذي نفس محمدٍ بيده، ما علمت بشيءٍ من ذلك حتىٰ سمعت ما سمعتم، إنه يُجير علىٰ

المسلمين أدناهم»، ثم انصرف رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فدخل علىٰ ابنته، فقال: «أي بنيّة، أكرمي مثواه، ولا يَخْلُصَنّ إليك، فإنك لا تحلّين له».

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعث إلىٰ السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تُحسنوا وتردّوا عليه الذي له، فإنا نُحبّ ذلك، وإن أبيتم فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به». فقالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتىٰ إن الرجل ليأتي بالدلو، ويأتي الرجل بالشَّنَّة[1]، وبالإداوة[2]، حتىٰ إن أحدهم ليأتي بالشظاظ[3]، حتىٰ ردّوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً. ثم احتمل إلىٰ مكة، فأدّىٰ إلىٰ كل ذي مالٍ من قريشٍ ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريشٍ، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال له يأخذه، قالوا: لا،

(١) الشنّة: السقاء البالي.
(٢) الإداوة: القربة الصغيرة من الجلد.
(٣) الشظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الكيس. والجمع أشظة.

فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفيّاً كريماً، قال: فأنا أشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن تظنّوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أدّاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت، ثم خرج حتىٰ قدم علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس، قال: ردّ عليه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، زينب علىٰ النكاح الأول لم يُحدِث شيئاً بعد ست سنين.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عبيدة: أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام، ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ قال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

وهكذا أسلم أبو العاص بن الربيع، وعادت إليه زوجته زينب بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

أنجبت زينب بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه

---

(١) تاريخ الطبري.

وسلم، لابن خالتها أبي العاص بن الربيع ولداً اسمه (علي)، مات صغيراً.

وأنجبت زينب أيضاً لابن خالتها أبي العاص، بنتاً اسمها (أُمامة) تزوّجها علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بعد وفاة خالتها فاطمة (الزهراء) سنة ١١هـ. حيث توفيت فاطمة، رضي الله عنها، بعد وفاة أبيها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بستة أشهرٍ.

توفيت زينب بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠م).

٣" ـ **رقيّة**: وُلدت ونشأت في الجاهلية، وتزوّجت عُتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، ولما ظهر الإسلام أسلمت حين أسلمت أمها خديجة، رضي الله عنها، ولما نزلت سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾. غضب أبو لهب فأمر ابنه بمفارقتها، ففارقها قبل أن يدخل عليها. وتزوّجها عثمان بن عفّان، رضي الله عنه، وهاجرت معه إلىٰ الحبشة، وبعدها هاجرت إلىٰ المدينة معه، واستقرت

مع زوجها في المدينة. وأنجبت له ولداً اسمه (عبد الله)، وتوفي وهو صغير.

توفيت رقية، رضي الله عنها، في السنة الثانية للهجرة (٦٢٥م)، وأبوها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في بدر.

٤" ـ **أم كلثوم**: تزوّجها عُتيبة بن أبي لهب، وفارقها قبل أن يبني بها للسبب الذي فارق أخوه عُتبة أختها رقيّة، وهاجرت إلىٰ المدينة، وتزوّجها عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بعد وفاة زوجته أختها رقية، وذلك في السنة الثالثة للهجرة.

توفيت أم كلثوم، رضي الله عنها، بالمدينة عند زوجها عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وذلك في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٣م).

وقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد وفاة أم كلثوم: «لو أن لنا ثالثة لزوّجنا عثمان بها».

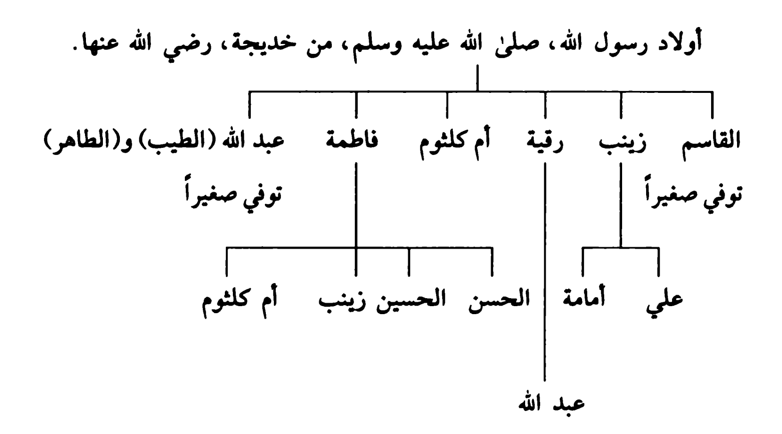
٥" ـ **فاطمة**: ولدت، رضي الله عنها، في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة (٦٠٥م). وهي من نابهات قريش. وإحدىٰ الفصيحات العاقلات. تزوّجها علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو ابن عمّ أبيها. وكان

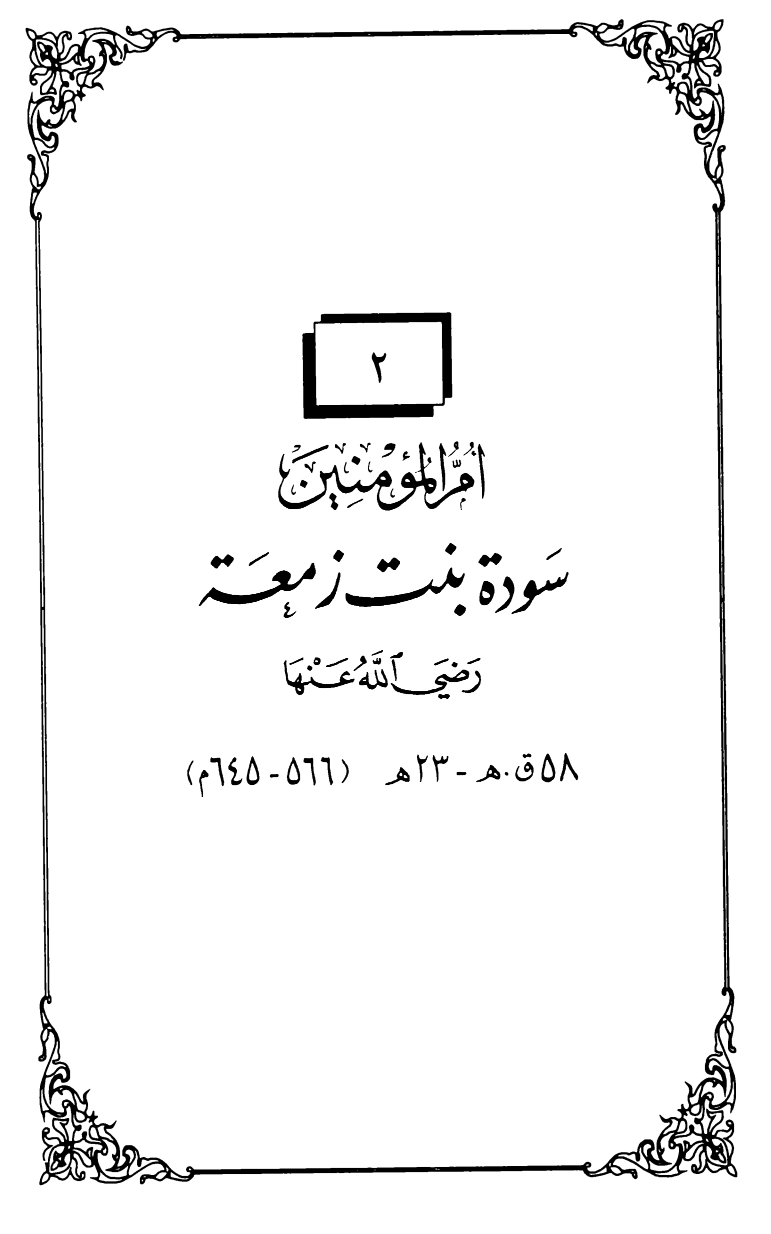
زواجها في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة، وعمرها ثماني عشرة سنةً.

أنجبت فاطمة، رضي الله عنها: الحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم. وقد تزوّج زينب ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأنجبت له: علي، وعون، وأم كلثوم. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأنجبت له: زيد، ورقية.

وتوفيت فاطمة، رضي الله عنها، في السنة الحادية عشرة للهجرة بعد وفاة أبيها بستة أشهرٍ. وقد عاشت، رضي الله عنها، ثلاثين سنةً.

٦" ـ **عبد الله**: وُلد بعد البعثة لذا لُقّب بـ(الطيّب) و(الطاهر)، وتوفي صغيراً.





٢

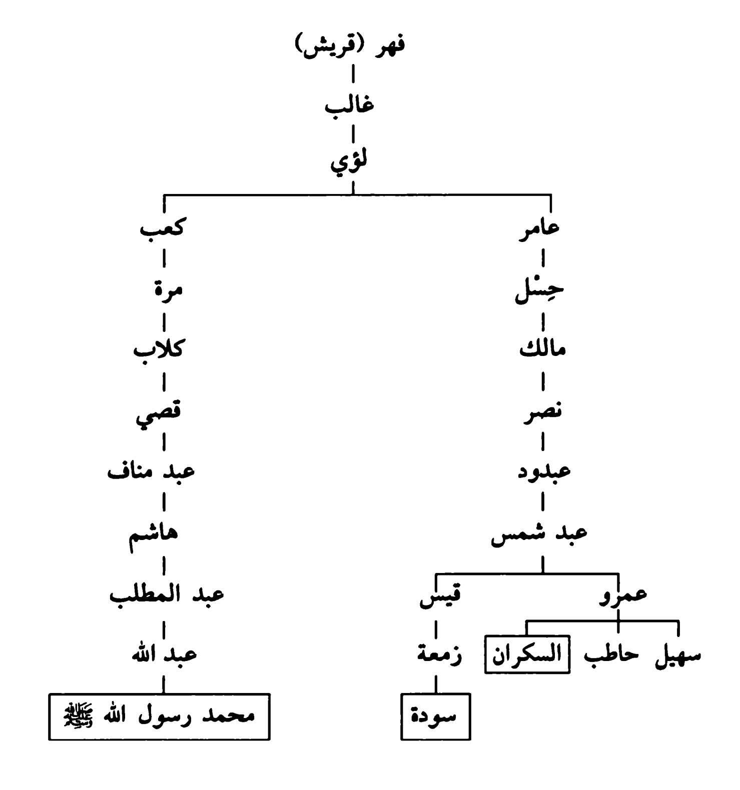
أم المؤمنين سودة بنت زمعة

رضي الله عنها

٥٨ق.هـ - ٢٣هـ (٥٦٦ - ٦٤٥م)

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش). فهي من بني عامر أحد فروع قبيلة قريش، لذا فهي بعيدة النسب من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

أما أمها فهي الشموس بنت قيس بن زيد بن عمر.



ولدت سودة، رضي الله عنها، في مكة سنة ٥٨ قبل الهجرة (٥٦٦م) فهي أكبر سناً من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بخمس سنواتٍ، وتزوّجت من ابن عمها السكران بن عمرو، وهاجرا إلىٰ الحبشة في الهجرة الثانية وذلك في السنة السابعة من بدء الإسلام، وبعد مدةٍ رجعا من الحبشة مع فريقٍ ممن هاجر إذ بلغهم أن أهل مكة قد دخلوا بالإسلام، فلما عادوا عرفوا أن الخبر غير صحيحٍ، وتوفي زوجها السكران بن عمرو، رضي الله عنه، فبقيت دون مُعيلٍ، وهي من أشراف قريشٍ الذين منهم سهيل بن عمرو أخو زوجها السكران بن عمرو، وكان سهيل بن عمرو من أشدّ الذين وقفوا في وجه الإسلام، فهي شريفة، وأسلمت، وخالفت قبيلتها وأسرتها، ولا بدّ للمسلمين أن يرعوا شؤونها، وأفضل شيءٍ زواجها، إذ لا تستطيع أن تعيش بين أقاربها المشركين الذين ربما فتنوها عن دينها، ورسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لا يمكن أن يطلب من أحدِ المسلمين أن يتزوّجها إذ قاربت الخامسة والخمسين من العمر، كما لم تكن علىٰ درجةٍ من الجمال تُشجّع علىٰ الزواج، فكان لا بدّ له من أن يضمّها إليه، صلىٰ الله عليه وسلم، وخاصةً أن زوجته

خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، كانت قد توفيت قبل شهرٍ، فهو بحاجةٍ إلىٰ زوجةٍ ترعىٰ شؤونه، صلىٰ الله عليه وسلم، فتزوّجها.

وهي أول من تزوّج بها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد خديجة، رضي الله عنها، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنواتٍ، وبعد شهرٍ عقد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ عائشة بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما، ولكن لم يبنِ بها إلا بعد مدةٍ، وذلك في السنة الثانية بعد الهجرة وذلك في شهر شوال إثر غزوة بدرٍ. وبذا تكون سودة بنت زمعة، رضي الله عنها، قد استقلّت برسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، مدة خمس سنواتٍ وذلك منذ زواجها به في السنة الثالثة قبل الهجرة إلىٰ دخوله علىٰ عائشة، رضي الله عنها، في السنة الثانية بعد الهجرة. وبعد أن هاجرت أم المؤمنين سودة بنت زمعة، رضي الله عنها، إلىٰ المدينة بالعمر الذي بلغته، وخافت أن يُطلّقها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد أن بنىٰ بعائشة، رضي الله عنها، وهي راغبة في البقاء في عداد زوجاته فجعلت يومها لعائشة، رضي الله عنها. والحقيقة أن هذا مجرّد شعورٍ منها وخوفٍ، ولم يكن له ما يُبرّره.

وتوفيت، رضي الله عنها، في آخر خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أي: سنة ٢٣هـ، وبذا تكون قد ناهزت حياتها الثمانين سنةً. ولم تُنجب لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ولداً.

روت عن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، خمسة أحاديث، منها حديث واحد في البخاري.

كانت، رضي الله عنها، سيدةً جليلةً ضخمةً.

وهبت يومها لعائشة، رضي الله عنها، رعايةً لقلب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

قال هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة، قالت: ما رأيت امرأةً أحب إليّ أن أكون في مسلاخها[1] من سودة، من امرأةٍ فيها حِدّة. فلما كبرت جعلت يومها من النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، لعائشة.

روىٰ الواقدي: أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، تزوّج بسودة، رضي الله عنها، في شهر رمضان سنة عشرٍ من البعثة، وهاجر بها، وماتت بالمدينة في شوال سنة ٢٣هـ.

---

(١) المسلاخ: الهدي والطريقة.

ورُوي أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لما خطب سودة، رضي الله عنها، قالت له: أمري إليك.

قال: «مُري رجلاً من قومك يُزوّجك». فأمرت حاطب بن عمرو العامري ـ وهو أخو زوجها الأول السكران بن عمرو، فزوّجها، وهو مهاجريّ بدريّ.

قالت عائشة، رضي الله عنها: استأذنت سودة ليلة المزدلفة، أن تدفع قبل حَطْمَةِ الناس ـ وكانت امرأةً ثَبِطة ـ أي: ثقيلة، فأذن لها.

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: لما قدم النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، المدينة بعث زيد بن حارثة، وبعث معه أبا رافعٍ مولاه، وأعطاهما بعيرين، وخمسمائة درهم. فخرجنا جميعاً، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم، وبسودة بنت زمعة وبأم أيمن، وأسامة ابنه.

كانت لها روح مرحة، وتُضحك النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، دائماً.

وكانت معروفةً بطول اليد أي: كثيرة الصدقة، لا تستقرّ الدراهم بيدها.

رُوي أن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، بعث إلىٰ

سودة، رضي الله عنها، بطلاقها، فجلست علىٰ طريقه، فقالت: أُنشدك بالذي أنزل عليك كتابه، لِمَ طلّقتني؟ ألـمَـوْجِـدة؟ قـال: «لا»، قـالـت: فـأُنـشـدك الله لـمـا راجعتني، فلا حاجة لي في الرجال، ولكني أُحبُّ أن أُبعثَ في نسائك. فراجعها. قالت: فإني جعلت يومي لعائشة.

الأحاديث التي روتها سودة، رضي الله عنها:

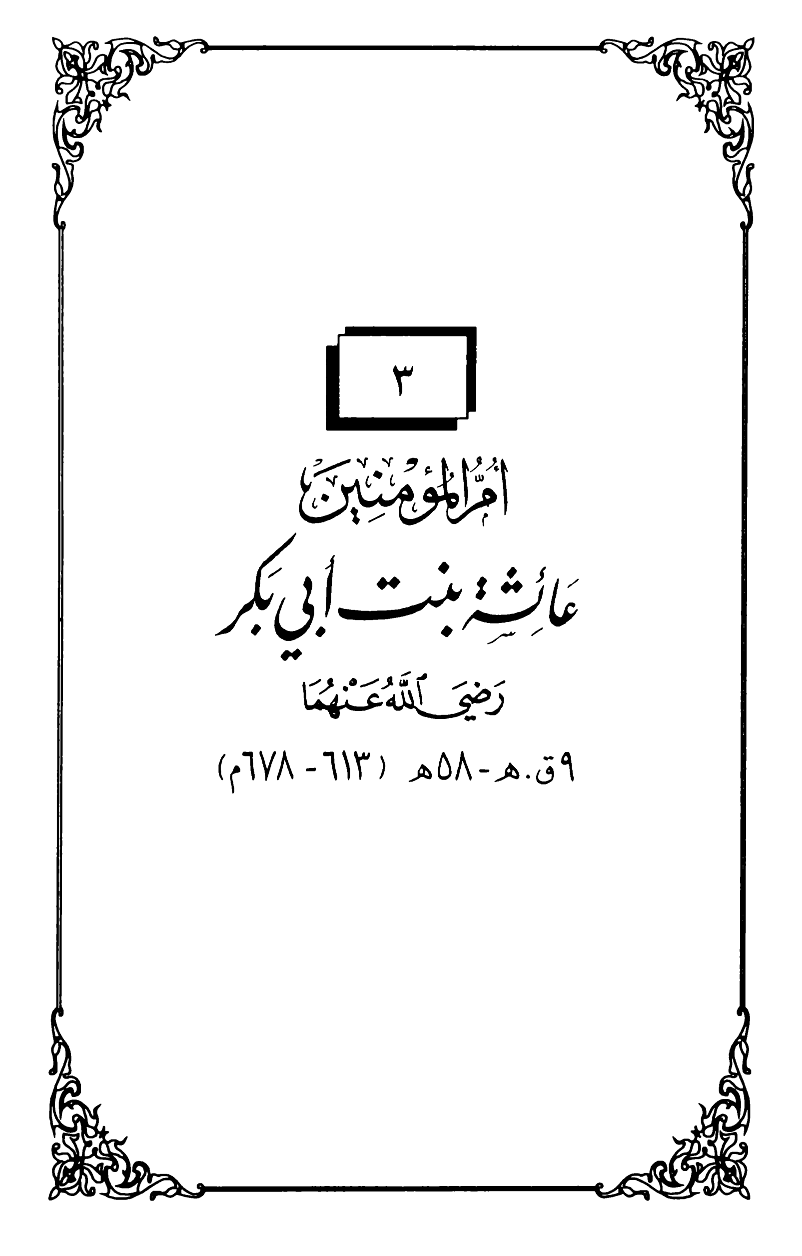
١" ـ أخبرنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزْمة، قال: أنبأنا الفضل بن موسىٰ عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن سودة زوج النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، قالت: ماتت شاة لنا، فدبغنا مَسْكها، فما زلنا ننبذ فيها حتىٰ صارت شَنّاً.

الدباغ: لتطهير الجلد. المَسك: الجلد. النبذ: الطرح والإلقاء. الشنّ: القربة العتيقة.

٢" ـ حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمِّيُّ أبو عبد الصمد، حدثنا منصور، عن مجاهد، عن مولى لابن الزبير يقال له يوسف بن الزبير، عن ابن الزبير، عن سودة بنت زمعة، قالت: جاء رجل إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: إن أبي شيخ كبير لا

يستطيع أن يحُجّ، قال: «أرأيتك لو كان علىٰ أبيك دَيْن فقضيته عنه، قُبل منك؟»، قال: نعم، قال، صلىٰ الله عليه وسلم: «فالله أرحم، حُجّ عن أبيك».

٣" ـ حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل، عن منصور، عن مجاهد، عن مولى لآل الزبير، قال: إن بنت زمعة قالت: أتيت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقلت: إن أبي زمعة مات، وترك أم ولدٍ له، وإنا كنا نظنها برجلٍ، وإنها ولدت فخرج ولدها يشبه الرجل الذي ظنناها به، قال: فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لها: «أما أنت فاحتجبي منه فليس بأخيك، وله الميراث».



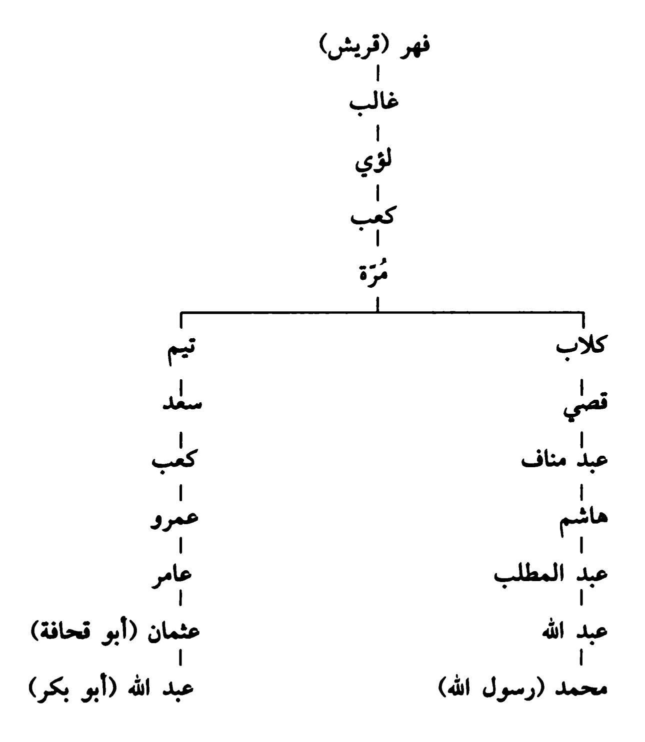
٣

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر

رضي الله عنهما

٩ ق.هـ - ٥٨هـ (٦١٣ - ٦٧٨م)

عائشة بنت الصديّق أبي بكر عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) فهي من بني تيم، ورسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من بني عبد مناف، وإن كان كلاهما من قريش إلا أنهما من بطنين مختلفين.



وأم عائشة، رضي الله عنها، هي (أم رومان) بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أذينة الكنانية أي: أنها من كنانة وليست من قريشٍ.

وُلدت عائشة، رضي الله عنها، في السنة التاسعة قبل الهجرة، وعقد عليها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد وفاة خديجة، رضي الله عنها، بشهرين، وقد توفيت خديجة، رضي الله عنها، قبل الهجرة بثلاث سنواتٍ، أي أن العقد علىٰ عائشة، رضي الله عنها، كان وهي بنت ستّ سنواتٍ أي كانت صغيرةً[1].

وقد عاشت عائشة، رضي الله عنها، مدةً طويلةً

(١) في هذا القول كلام: وهو صحيح أن زواج الفتيات المبكر كان قاعدةً آنذاك، ويكون النضج مبكراً في البلاد الحارة، وهو الأصح. ولكن قيل: أنها كانت من السابقات للإسلام، وهذا معناه أن عمرها، رضي الله عنها، كان أكثر من ذلك. وكذلك كانت قد خُطبت لجبير بن المطعم بن عدي قبل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. وأن خولة بنت حكيم زوج عثمان بن مظعون هي التي عرضت علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، هذا الزواج بعد وفاة خديجة، رضي الله عنها. فهل تُعرض فتاة للزواج لكي تقوم مقام سابقتها، أم ليضمّ إليه طفلةً يرعاها؟.

بعد وفاة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إذ توفيت سنة ٥٨هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، ولم تُنجب عائشة، رضي الله عنها، لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

وعائشة، رضي الله عنها، هي الفتاة البكر الوحيدة التي تزوّجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وكانت الغاية من زواجها زيادة أواصر المودّة مع صديقه أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، الذي قدّم وضحّىٰ الكثير من أجل الدعوة الإسلامية.

وُلدت عائشة، رضي الله عنها، في الإسلام، وكانت تقول: لم أعقل أبَوَيَّ إلا وهما يَدينان الدينَ[1]. وأسلمت أمها قديماً، وهاجرت، وتوفيت في المدينة سنة ستٍّ للهجرة.

وتصف لنا، رضي الله عنها، يوم أُدخلت علىٰ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، فتقول: تزوّجني النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، وأنا بنت ستّ سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت فتمزّق شعري فوفىٰ جميمة، فأتتني أمي أم رومان،

(١) أخرجه البخاري: ٣/ ٢٢٩.

وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها، لا أدري ما تريد مني، فأخذت بيدي حتىٰ أوقفتني علىٰ باب الدار، وإني لأنهج حتىٰ سكن بعض نَفَسي، ثم أخذتْ شيئاً من ماءٍ فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: علىٰ الخير والبركة، وعلىٰ خير طائر، فأسلمتني إليهنّ، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين[1].

والإسراع في العقد في وقتٍ لم تكن عائشة، رضي الله عنها، أهلاً للزواج فيه، ويظهر من قول عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «رأيتك في المنام، يجيء بك المَلَك في سَرَقَةٍ[2] من حرِيرٍ، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك، فإذا هي أنت، فقلت: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه»[3].

---

(١) متفق عليه (خ٢٨٩٤، م١٤٢٢). ومعنىٰ جميمة: الشعر النازل إلىٰ الأذنين.

(٢) سرقة: قطعة.

(٣) متفق عليه (خ٥١٢٥، م ٢٤٣٨).

وفي روايةٍ للبخاري: «أُريتكِ في المنام مرتين»، وفي رواية لمسلم: «أُريتكِ في المنام ثلاث ليالٍ».

هذه الرؤيا المتكررة ـ ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء نوع من الوحي ـ تُبيّن لنا الدافع في التبكير بالعقد، فقد كان هذا الزواج بأمرٍ من الله تعالىٰ.

وعائشة، رضي الله عنها، هي البكر الوحيدة التي تزوّجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وقد راعىٰ صغر سنّها، وقد وصفت، رضي الله عنها، هي ذلك، فقالت: كنت ألعب بالبنات[1] عند النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إذا دخل يتقمَّعنَ منه، فيُسَرِّبُهُنَّ إليّ فيلعبن معي[2].

وفي رواية أبي داود قالت: كنت ألعب بالبنات، وأنا عند رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فكان يسرب إليّ صواحبي يُلاعبنني.

ونُلاحظ من هذين النصين أن الرسول، صلىٰ الله عليه وسلم، حرص الحرص كله علىٰ أن يبقىٰ لعائشة،

---

(١) اللُّعب علىٰ شكل بنات.

(٢) متفق عليه (م٦١٣٠، م ٢٤٤٠).

رضي الله عنها، وضعها الذي كانت تألفه قبل الزواج من اللقاء بصويحباتها، واللعب ببناتها اللاتي صنعتهن من الصوف.

وقد استمرّ هذا إلىٰ وقتٍ متأخرٍ نسبياً، ففي حديث أبي داود أنه، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد قدومه من غزوة تبوك أو خيبر (سنة ٩ أو ٧ من الهجرة)، كشف الستر علىٰ بنات (لُعَب) لعائشة، رضي الله عنها، فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي، قالت: ورأىٰ فرساً مربوطاً له جناحان، فقال: «ما هذا؟» قلت: فرس، قال: «فرس له جناحان؟» قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان، عليه السلام، خيل لها أجنحة؟ فضحك[1].

وكانت عائشة أحب الناس إليه، صلىٰ الله عليه وسلم، وكان يُصرّح بذلك إذا سئل، وهذا ما حدث عندما سأله عمرو بن العاص، رضي الله عنه، إذ قال: قلت: أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال، صلىٰ الله عليه وسلم: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود: ٤٩٣٢.

(٢) متفق عليه (خ٣٦٦٢، م٢٣٨٤).

ولقد بات هذا الحب لعائشة معروفاً من قِبل الصحابة، فإذا كان عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، انتظر حتىٰ إذا كان في بيت عائشة بعث هديته إليه.

قالت عائشة، رضي الله عنها: فاجتمع صواحبي إلىٰ أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمُرِي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أن يأمر الناس أَن يُهدُوا إليه حيث كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذاك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال: «يا أم سلمة، لا تُؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرِها»[1].

وقوله، صلىٰ الله عليه وسلم، هذا يدلّ دلالةً واضحةً علىٰ تخصيص الله تعالىٰ لها بهذه المزية، كما يدلّ علىٰ أن الرسول، صلىٰ الله عليه وسلم، كان يُراعي هذا الأمر الذي هو من عنده سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧٥).

دون مساسٍ بالعدل الذي أقامه بينهن، رضي الله عنهنّ.

هذا الزواج الذي كان بأمرٍ نقله الوحي، وهذا التخصيص من نزول الوحي، أمكن معرفة حكمته بعد انتقاله، صلىٰ الله عليه وسلم، حيث ظهرت المكانة العلمية لعائشة، رضي الله عنها، فكانت أكثر نساء الأمة فقهاً، وأعلمهنّ علىٰ الإطلاق، وكان كبار أصحاب النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، يرجعون إلىٰ قولها ويستفتونها.

كانت عائشة، رضي الله عنها، علىٰ ذكاءٍ كبيرٍ، وقد أتاحت لها ملاصقة حجرتها للمسجد أن تكون علىٰ صلةٍ دائمةٍ بخطب الرسول، صلىٰ الله عليه وسلم، وأحاديثه وأحكامه، تحفظها، وتسأل عما غاب عنها، كما كانت علىٰ معرفةٍ بأسباب نزول الآيات، ومناسبات ورود الأحاديث الأمر الذي يَسّر لها ملكةً فقهيةً قلّ نظيرها.

وكانت عائشة، رضي الله عنها، امرأةً بيضاء جميلةً. ومن ثَمَّ يقال لها: الحُميراء، ولم يتزوج النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، بكراً غيرها، ولا أحبّ امرأةً حبّها. ولم تُنجب له.

ثم هي أطول نسائه صحبةً له، صلىٰ الله عليه وسلم. وهذا يدلّ علىٰ كثرة الأحاديث التي روتها بالنسبة إلىٰ بقية نسائه.

روت عائشة، رضي الله عنها: ٢٢١٠ أحاديث.

روت أم سلمة، رضي الله عنها: ٣٧٨ حديثاً.

روت ميمونة، رضي الله عنها: ٧٦ حديثاً.

روت أم حبيبة، رضي الله عنها: ٦٥ حديثاً.

روت حفصة، رضي الله عنها: ٦٠ حديثاً.

روت صفية، رضي الله عنها: ١٠ أحاديث.

روت زينب بنت جحش، رضي الله عنها: ٩ أحاديث.

روت سودة، رضي الله عنها: ٥ أحاديث.

روت جويرية، رضي الله عنها: ٥ أحاديث.

وأضافت عائشة، رضي الله عنها، إلىٰ ذلك معرفةً بالشعر، والأنساب، والطب، حتىٰ كان عروة بن الزبير وهو ابن أختها أسماء يتملكه العجب من إحاطة خالته عائشة، رضي الله عنها، بهذه العلوم كلها، فيقول لها متعجباً: إني لأتفكّر بأمرك فأعجب، أجدك من أفقه الناس، فتقول: ما يمنعني؟ زوجة رسول وابنة أبي بكر، وأجدك عالمةً بأيام العرب، وأنسابها،

وأشعارها، فتقول: وما يمنعني؟ أبي علّامة قريشٍ. ولكن إنما أعجب أن وجدتك عالمةً بالطب، فمن أين؟ فتُجيب السيدة عائشة، رضي الله عنها، فتقول: يا عُريّة[1]، إن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كثر من أسقامه، فكان أطباء العرب والعجم يصفون له فتعلّمت ذلك.

قال أبو موسىٰ الأشعري، رضي الله عنه، ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ـ حديث قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً[2].

عن هشام، عن أبيه عروة، عن عائشة، قالت: أُدخلت علىٰ نبي الله وأنا بنت تسعٍ، جاءني نسوة وأنا ألعب علىٰ أُرجوحة وأنا مجممة، فهيّأنني، وصنعنني، ثم أتين بي إليه[3].

روىٰ الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لقد رأيت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يقوم علىٰ باب حجرتي، والحبشة يلعبون بالحِراب في

---

(١) عرية: تصغير عروة.

(٢) أخرجه الترمذي: ٣٨٨٣.

(٣) أخرجه أبو داود: ٤٩٣٣.

المسجد، وإنه ليسترني بردائه لكي أنظر إلىٰ لعبهم، ثم يقف من أجلي حتىٰ أكون أنا التي أنصرف. فاقدُرُوا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة علىٰ اللهو.

روىٰ الواقدي قال: حدثني موسىٰ بن محمد بن عبد الرحمٰن، عن ريطة، عن عمرة، عن عائشة، قالت: لما هاجر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ المدينة خلّفنا وخلّف بناته، فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة وأبا رافعٍ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهمٍ، أخذهما من أبي بكرٍ، يشتريان بها ما نحتاج إليه من الظَّهر. وبعث أبو بكرٍ معهما عبد الله بن أُريقط الليثي ببعيرين أو ثلاثةٍ، وكتب إلىٰ ابنه عبد الله يأمره أن يحمل أهله أم رومان، وأنا، وأختي أسماء. فخرجوا فلما انتهوا إلىٰ قُديد، اشترىٰ زيد بن حارثة بتلك الدراهم ثلاثة أبعرةٍ. ثم دخلوا مكة، وصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة بآل أبي بكر. فخرجنا جميعاً، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة وأم أيمن وأسامة، فاصطحبنا جميعاً حتىٰ إذا كنا بـ(البيض)[1] نفر بعيري، وقُدّامي مِحَفَّة فيها

(١) البيض: من منازل بني كنانة بالحجاز.

شأن الإفك:

كان في غزوة بني المصطلق سنة ٦هـ.

روىٰ حماد بن زيد، عن معمر، والنعمان بن راشد، عن الزُّهري، عن عروة، عن عائشة: أن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه. فأقرع في غزوة بني المصطلق. فخرج سهمي. فهلك فيّ من هلك.

روىٰ يونس، عن ابن شهاب: أخبرني عروة، وابن المسيب، وعلقمة بن وقّاص، وعبيد الله بن عبد الله، عن حديث عائشة حين قال عنها أهل الإفك ما قالوا، فبرّأها الله سبحانه وتعالىٰ، وكل حدّثني بطائفةٍ من حديثها، وبعض حديثهم يصدّق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعىٰ له من بعضٍ، قالت: كان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرج سهمي، فخرجت معه بعدما نزل الحجاب، وأنا أُحمل في هودجٍ، وأُنزل فيه،

فسرنا حتىٰ إذا فرغ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من غزوته تلك، وقفل، ودنونا من المدينة، آذن ليلةً بالرحيل. فقمت حينئذٍ، فمشيت حتىٰ جاوزت الجيش. فلما قضيت حاجتي، أقبلت إلىٰ رحلي، فإذا عَقْد لي من جَذْع ظَفَار قد انقطع، فالتمسته، وحبسني التماسه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي، فاحتملوا هودجي، فرحّلوه علىٰ بعيري، وهم يحسبون أني فيه، وكانت النساء إذ ذاك خِفافاً لم يُثْقِلْهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلْقة[1] من الطعام، فلم يستنكروا خِفّة المَحْمِل حين رفعوه، وكنت جاريةً حديثة السنّ، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عِقدي بعدما استمرّ الجيش. فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ. فبينا أنا جالسة غلبتني عيني، فنمت.

وكان صفوان بن المُعَطَّل السُّلَمي، ثم الذكواني، من وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأىٰ سواد إنسانٍ نائمٍ، فأتاني، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب. فاسترجع، فاستيقظت باسترجاعه

---

(١) العُلْقة: كل ما يتبلغ به من العيش.

حين عرفت. فخمّرت وجهي بجلبابي، والله ما كلّمني كلمةً، ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه، فأناخ راحلته، فوطئ علىٰ يديها فركِبْتُها. فانطلق يقود بي الراحلة حتىٰ أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين[1] في نحر الظهيرة، فهلك من هلك فيّ. وكان الذي تولّىٰ كِبر الإفك عبد الله بن أُبيّ بن سلول[2].

فقدِمنا المدينة، فاشتكيت شهراً، والناس يُفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيءٍ من ذلك، ويَريبُني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، اللطف الذي كنت أرىٰ منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ، فيُسلّم، ثم يقول: «كيف تِيكم؟» ثم ينصرف (فذلك الذي يريبني) ولا أشعر بالشرّ، حتىٰ خرجت بعدما نقهت، فخرجت مع أم مِسْطَح قبل المناصع، وهو مُتبرَّزنا. وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلىٰ ليل، وذلك قبل أن تُتَّخَذَ الكُنُف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول من التبرُّز قبل الغائط،

---

(١) نازلين في وقت الوغرة وهي شدة الحرّ، ونحر الظهيرة: وقت القائلة (القيلولة).

(٢) هو رأس المنافقين.

وكنا نتأذّىٰ بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأمّ مِسطح بنت أبي رهم بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مِسطح بن أُثاثة بن المطلب. فأقبلت أنا وهي قِبل بيتي، قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مِسطح في مِرطها، فقالت: تعس مِسطح، فقلت لها: بئس ما قلت! أتسُبّين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هَنْتاه، أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وما ذاك؟ فأخبرتني الخبر، فازددت مرضاً علىٰ مرضي.

فلما رجعت إلىٰ بيتي، ودخل عليّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فسلّم، ثم قال: «كيف تيكم؟» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ وأنا حينئذٍ أريد أن استيقن الخبر من قِبلهما. فأذن لي. فجئت أبوي فقلت: يا أمتاه، ما يتحدّث الناس؟ قالت: يا بنية، هوّني عليك، فوالله لقلّما كانت امرأة وضيئة عند رجلٍ يحبّها لها ضرائر إلا كثّرن عليها، فقلت: سبحان الله، وقد تحدّث الناس بهذا؟ فبكيت الليلة حتىٰ لا يرقأ لي دم ولا أكتحل بنومٍ. ثم أصبحت أبكي. فدعا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي، يستأمرهما في فِراق أهله. فأما أسامة، فأشار علىٰ رسول الله بالذي

يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الودّ، فقال: يا رسول الله، أهلُك ولا نعلم إلّا خيراً. وأما عليّ فقال: لم يُضيّق الله عليك والنساء سواها كثير، واسأل الجارية تَصدقْك. فدعا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بُريرة، فقال: أيْ بُريرة، هل رأيت من شيءٍ يريبك؟ قالت: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمِصُه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السنّ، تنام عن عجين أهلها، فيأتي الداجن فيأكله.

فقام رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فاستعذر من عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فقال وهو علىٰ المنبر: «يا معشر المسلمين، من يَعذِرُني[1] من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت علىٰ أهل بيتي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل علىٰ أهلي إلا معي»، فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس، ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من

(١) يعذرني: من يقوم بعذري إن جازيته علىٰ قبيح فعاله، وسوء ما صدر منه.

الخزرج، أمرتنا، ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان من قبل رجلاً صالحاً، ولكن احتملته[1] الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعَمْرُ الله، لا تقتله، ولا تقدر علىٰ قتله. فقام أُسيد بن حُضير - وهو ابن عمّ سعد بن معاذ - فقال: كذبت لَعَمْرُ الله لنقتلنّه، فإنك منافق تُجادل عن المنافقين. فتثاور[2] الحيّان: الأوس والخزرج، حتىٰ همّوا أن يقتتلوا، ورسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قائم علىٰ المنبر. فلم يزل يخفضهم حتىٰ سكتوا وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك وليلتي، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنومٍ، فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنومٍ، ولا يرقأ لي دمع، حتىٰ ظننت أن البكاء فالق كبدي. فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي، استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن علىٰ ذلك، دخل علينا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فسلّم، ثم جلس، ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما

---

(١) احتملته: أغضبته.

(٢) تثاور الحيّان: تواثبا، وتناهضا للنزاع والعصبية.

قيل، ولقد لبث شهراً لا يوحىٰ إليه في شأني شيء. قالت: فتشهد ثم قال: «أما بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئةً، فسيُبَرِّئُك الله، وإن كنت ألممت بذنبٍ، فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه». فلما قضىٰ مقالته، قَلَص دمعي حتىٰ ما أُحِسُّ منه قطرةً، فقلت لأبي: أجب رسول الله فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقالت: ما أدري ما أقول لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقلت وأنا يومئذٍ حديثة السنّ لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتىٰ استقرّ في أنفسكم، وصدّقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة ـ والله يعلم أني بريئة ـ لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ، والله يعلم أني بريئة لتُصَدِّقني. والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف]. ثم تحوّلتُ، فاضطجعت علىٰ فراشي، وأنا أعلم أني بريئة، وأن الله تعالىٰ يُبرئني ببراءتي، ولكن والله ما ظننت أن الله يُنزل في شأني

وحْياً يُتلىٰ، ولَشأني كان في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمرٍ يُتلىٰ، ولكن كنت أرجو أن يرىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في النوم رؤيا يُبرئني الله بها. قالت: فوالله ما قام رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتىٰ نزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتىٰ إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يومٍ شاتٍ، من ثقل القول الذي ينزل عليه، فسُري عنه وهو يضحك، فكان أول كلمةٍ تكلم بها: «يا عائشة، أما والله لقد برّأك الله»، فقالت أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله. وأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ

سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور].

فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر، وكان يُنفق علىٰ مِسطح لقرابته وفقره: والله لا أُنفق علىٰ مِسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة. فأُنزلت الآيـــة: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النـــور]. قال: بلىٰ والله، إني لأحب أن يغفر الله لي. فَرَجَعَ إلىٰ مِسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قالت: وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقالت: أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، وهي التي كانت تُساميني من أزواج النبي، صلىٰ الله عليه وسلم. فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها (حمنة) تُحارب

لها[1]، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

عن محمد بن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، قالت: لما تلا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، القصة التي نزل بها عذري علىٰ الناس، نزل فأمر برجلين وامرأةٍ، ممن تكلّم بالفاحشة عن عائشة، فجُلدوا الحدّ.

وفي «مسند أحمد» من طريق محمد بن إسحاق: حدّثنا يحيىٰ بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة، قالت: أقبلنا مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، حتىٰ إذا كُنّا بـ(تربان) ـ بلد بينه وبين المدينة بريد وأميال، وهو بلد لا ماء به ـ وذلك من السَّحر، انسلّت قلادة من عنقي، فوقعت، فحُبس عليّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لالتماسها حتىٰ طلع الفجر، وليس مع القوم ماء، فلقيت من أبي ما الله به عليم من التعنيف والتأفيف. وقال: في كل سفرٍ للمسلمين منك عناء وبلاء. فأنزل الله الرخصة في التيمّم، فتيمّم القوم، وصلّوا.

قالت: يقول أبي حين جاء من الله الرخصة

---

(١) حكت ما قيل لتخفض منزلة عائشة وترفع أختها.

للمسلمين: والله ما علمت يا بنيّة إنك لمباركة، ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر.

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: سابقني النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، فسبقته ما شاء، حتىٰ إذا رهقني اللحم، سابقني، فسبقني، فقال: «يا عائشة هذه بتلك».

زياد بن أيوب: حدّثنا مصعب بن سلّام، حدّثنا محمد بن سوقة، عن عاصم بن كليب، عن أبيه قال: انتهينا إلى عليّ، رضي الله عنه، فذكر عائشة، فقال: خليلة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشة مع ما وقع بينهما، فرضي الله عنهما. ولا ريب أن عائشة ندمت ندامةً كليةً علىٰ مسيرها إلىٰ البصرة وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أن الأمر يبلغ ما بلغ. فعن عمارة بن عمير، عمن سمع عائشة: إذا قرأت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾ [الأحزاب: ٣٣]. بكت حتىٰ تبلّ خِمارها.

وفاة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم:

مرض رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في

أواخر شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة، وبقي في مرضه ثلاثة عشر يوماً، ولما تعذّر عليه الخروج للصلاة، قال: «مروا أبا بكر فليُصلّ بالناس». ونالت السيدة عائشة، رضي الله عنها، شرف خدمة النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، وتمريضه في الأيام الأخيرة من حياته. فما أن شعر، صلىٰ الله عليه وسلم، بالمرض حتىٰ أخذ يسأل: «أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟» حرصاً علىٰ بيت عائشة، رضي الله عنها، واستأذن عليه الصلاة والسلام، زوجاته أن يمرض في بيت عائشة، فأَذِنَّ له أن يكون حيث أحبّ، قالت عائشة: مات، صلىٰ الله عليه وسلم، في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه، وهو يوم الاثنين، فقبضه الله، عزّ وجلّ، وإن رأسه لبين سحري ونحري، وخالط ريقه ريقي[1].

وبيّنت عائشة، رضي الله عنها، كيف خالط ريقه ريقها، فقالت: إن من نِعم الله عليّ أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند

(١) رواه البخاري.

موته، دخل عليّ أخي عبد الرحمٰن وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتدّ عليه، وقلت: أُليّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليّنته، وبين يديه ركوة، أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إلـٰه إلا الله، إن للموت سكرات». ثم نصب يده فجعل يقول: «إلىٰ الرفيق الأعلىٰ». حتىٰ قبض ومالت يده[1].

وبقيت عائشة، رضي الله عنها، في هذه المرحلة التي مرت بها رابطة الجأش علىٰ الرغم من شدّة سكرات الموت التي عاناها، صلىٰ الله عليه وسلم، حتىٰ كانت تقول: (مات رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي ـ أي علىٰ صدرها ـ فلا أكره شدة الموت لأحدٍ بعد ما رأيت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم)[2].

ومن ثباتها وهدوء نفسها أنه عندما اشتدّ المرض

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري والنسائي وابن ماجه، واللفظ للنسائي.

برسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كانت تقرأ المعوِّذات وتنفث عليه، وتمسح بيده، لأنها تذكّرت أنه، صلىٰ الله عليه وسلم، كان إذا مرض فعل ذلك بنفسه(١).

قالت عائشة، رضي الله عنها، لما قُبض رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأبو بكر عند امرأته حبيبة بنت خارجة بـ(العوالي) فجعلوا يقولون: لم يمت النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، إنما هو بعض ما كان يأخذه(٢) عند الوحي، فجاء أبو بكر، فكشف عن وجهه، وقبّل بين عينيه، وقال: أنت أكرم علىٰ الله أن يميتك مرتين، قد مات رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. وعمر في ناحية المسجد يقول: والله ما مات رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ولا يموت حتىٰ يقطع أيدي أناسٍ من المنافقين كثير، وأرجلهم، فقام أبو بكرٍ فصعد المنبر فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) يأخذه: يصيبه.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]. قال عمر: فلكأني لم أقرأها إلا يومئذٍ.

توفي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ضُحىٰ يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول السنة الحادية عشرة للهجرة. ودُفن في حجرة عائشة، رضي الله عنها، في المكان الذي توفّاه الله فيه، فوقع في حجرتها القمر الأول، وكانت، رضي الله عنها، قد رأت في نومها كأن ثلاثة أقمارٍ سقطن في حجرتها، فقال أبو بكر، رضي الله عنه: إن صدقت رؤياك دُفن في بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض. فلما مات النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، قال لها أبو بكر: خير أقمارك يا عائشة، ودُفن في بيتها أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما[1].

وكان عمرها، رضي الله عنها، عشرين سنةً.

عائشة في عهد أبي بكر، رضي الله عنهما:

قالت عائشة، رضي الله عنها: لما دخل

---

(١) رواه الطبراني.

رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بيتي قال: «مروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناس». فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكرٍ رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكرٍ، قالت: والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثاً، فقال: «ليصلِّ بالناس أبو بكرٍ؛ فإنكنّ صواحب يوسف»[1].

ولزمت عائشة، رضي الله عنها، بعد وفاة النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، حجرتها، تُعزّي نفسها بجواره. ولما أرادت زوجات النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، أن يُرسلن عثمان، رضي الله عنه، إلىٰ أبي بكر، رضي الله عنه، يسألنه ميراثهنّ من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قالت عائشة، رضي الله عنها، لهنّ: أوليس قد قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «نحن معاشر الأنبياء لا نُورِّث، ما تركناه فهو صدقة».

ولما شعر أبو بكر، رضي الله عنه، بالمرض أوصىٰ عائشة، رضي الله عنها، أن يُدفن إلىٰ جانب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، واستمرّ مرض أبي

---

(١) رواه الجماعة، واللفظ لمسلم.

بكر، رضي الله عنه، خمسة عشر يوماً، ثم توفي يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من شهر جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة مثل عمر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، عندما توفي. وحُفر لأبي بكر في حجرة عائشة، رضي الله عنها، وجُعل رأسه عند كتفي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأُلصق اللحد بقبر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وبذا سقط القمر الثاني في حجرة عائشة، رضي الله عنها.

واختار أبو بكر، رضي الله عنه، من بين أولاده وبناته عائشة، رضي الله عنها، لتنفيذ وصيته التي ذكرها لها، وهي:

١" ـ ردّ بستانٍ كان منحها إياه إلىٰ الميراث.

٢" ـ إرسال عبدٍ حبشيٍ، وبعيرٍ، وجرد قطيفةٍ إلىٰ الخليفة الجديد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. ففعلت، فلما جاء الرسول إلىٰ عمر بكىٰ عمر، وسالت دموعه، وقال: رحم الله أبا بكرٍ لقد أتعب من بعده.

عائشة في عهد عمر، رضي الله عنهما:

كان كبار الصحابة في عهد عمر، رضي الله عنه،

إذا أشكل عليهم أمر وبخاصة في الأمور الشخصية يسألون عنه عائشة، رضي الله عنها، وعمر، رضي الله عنه، كان يُرسل إليها فيسألها عن السنن، ومن ذلك أنه اختلف المهاجرون والأنصار في وجوب الغُسل عند مخالطة الرجل زوجته دون إنزال، فقال أبو موسىٰ: أنا أشفيكم من ذلك، فقمت فاستأذنت علىٰ عائشة، رضي الله عنها، فأُذن لي، فقلت لها: يا أم المؤمنين ـ أو يا أماه ـ، إني أريد أن أسألك عن شيءٍ، وإني أستحيي منك، فقالت: لا تستحيي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك فإنما أنا أمك، قلت: فما يوجب الغُسل؟ قالت: علىٰ الخبير سقطت، قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «إذا جلس بين شُعَبها الأربع، ومسّ الخِتان الخِتان فقد وجب الغُسل»[1].

كان عمر، رضي الله عنه، يرىٰ أن المُحْرِم لا ينبغي أن يُشَمَّ منه ريح الطِّيب، ويقول: لأن أجد من المُحْرِم ريح القطران أحبّ إليّ من أن أجد ريح الطِّيب، فلما سمعت عائشة، رضي الله عنها،

---

(١) رواه مسلم.

استدركت عليه قائلةً: طيَّبتُ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، لإحرامه فأصبح وآثار المسك في مفارقه.

وأخرج البيهقي عن ابن عمر، قال: سمعت عمر يقول: إذا رميتم وحلقتم فقد حلّ لكم كل شيءٍ إلا النساء والطيب، قال سالم: قالت عائشة: كل شيءٍ إلا النساء، أنا طيّبتُ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لِحلّه.

وقد أخرج الشيخان عنها: طيّبت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لحرمه حين أحرم ولحلّه حين حلّ قبل أن يطوف بالبيت.

وعندما طُعن عمر، رضي الله عنه، في صلاة فجر الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٢٣هـ. أرسل ابنه عبد الله إلىٰ عائشة، رضي الله عنها، يستأذنها ليُدفن في الحجرة الشريفة بجانب صاحبيه فأذنت له. فكان قد قال لابنه: انطلق إلىٰ عائشة أم المؤمنين، فقُل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فمضىٰ فسلّم، واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكي، فسلّم عليها، وقال كما أوصاه، قالت: كنت أريد

المكان لنفسي، ولأوثرنه به اليوم علىٰ نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أَذِنَتْ، قال: الحمد لله، ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك المضجع، يا عبد الله بن عمر، انظر: فإذا قُبضت فاحملوني علىٰ سريري، ثم قف بي علىٰ الباب، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلني، وإن ردّتني فردّني إلىٰ مقابر المسلمين، فإني أخشىٰ أن يكون إذنها لي لمكان السلطان، فلما حُمِل فكأن المسلمين لم تُصبهم مصيبة إلا يومئذٍ، فأُذن له، فدُفن حيث أكرمه الله مع النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، ومع أبي بكر، رضوان الله عليهما، وسقط القمر الثالث في حجرة عائشة، رضي الله عنها.

عائشة في عهد عثمان، رضي الله عنهما:

زادت الأسئلة الفقهية علىٰ عائشة، رضي الله عنها، في عهد عثمان، رضي الله عنه، وذلك لاتساع ديار الإسلام، ودخول أفواجٍ جديدةٍ في الإسلام.

روت عائشة، رضي الله عنها، أحاديث عن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، في فضائل عثمان،

رضي الله عنه، ومناقبه. ومن هذه الأحاديث أن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، كان يستحيي من عثمان، وأنه إذا دخل عليه جلس وسوّىٰ ثيابه، وقال لعائشة وقد سألته عن ذلك: «ألا أستحيي من رجلٍ تستحيي منه الملائكة». وقال أيضاً: «إن عثمان رجل حيي»[1].

وقالت: دخل عليّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فرأىٰ لحماً، فقال: «من بعث هذا؟» قلت: عثمان، قالت: فرأيت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، رافعاً يديه يدعو لعثمان[2].

ولما سمعت أن بعض الناس ينال من عثمان، رضي الله عنه، غضبت غضباً شديداً، وقالت: لعن الله من لعنه، لعن الله من لعنه، لقد رأيت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وعثمان، ورسول الله مسند فخذه إلىٰ عثمان، وإني لأمسح العرق عن جبين رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وإن الوحي ينزل عليه، ولقد زوّجه ابنتيه إحداهما بعد الأخرىٰ، وإنه ليقول: «اكتب يا عُثيم». قالت: ما كان الله لينزل عبداً من نبيه بتلك

---

(١) رواهما مسلم.

(٢) رواه البزار.

المنزلة إلا عبد كريم عليه[1].

وعائشة، رضي الله عنها، هي التي روت حديث وصية النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، لعثمان حتىٰ لا يتنازل عن الخلافة مهما طلبوا منه، وذلك عندما يتعرّض لمكروه، فقالت: قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «يا عثمان، إن ولّاك الله هذا الأمر يوماً، فأرادك المنافقون علىٰ أن تخلع قميصك الذي قمّصك الله، فلا تخلعه»، يقول ذلك ثلاث مراتٍ، قال النعمان بن بشير: فقلت لعائشة: ما منعك أن تعلمي الناس بهذا؟ قالت: أُنسيته[2].

كما روت أن النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، قال في مرضه: «وددت أن عندي بعض أصحابي» قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: «نعم». فجاء فخلا به، فجعل النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، يُكلّمه، ووجه عثمان يتغيّر. قال قيس بن حازم ـ راوي الحديث عن عائشة ـ: فحدّثني

---

(١) رواه أحمد والطبراني.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

أبو سهلة مولىٰ عثمان، أن عثمان بن عفان، قال يوم الدار: إن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، عهد إليّ عهداً، فأنا صائر إليه، وفي رواية: فأنا صابر عليه. قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم[1].

وبقيت مودة عائشة، رضي الله عنها، وتقديرها لعثمان، رضي الله عنه، إلىٰ أن قُتل، رضي الله عنه، يوم ١٨ من شهر ذي الحجة سنة ٣٥ من الهجرة. وكانت عائشة، رضي الله عنها، أول من طالب بدمه، والدعوة إلىٰ الاقتصاص من قتلته والثائرين عليه من الغوغائيين.

وخرجت عائشة، رضي الله عنها، من المدينة بعد أن غلب عليها الغوغائيون، وسارت إلىٰ مكة حاجّةً، وبعد الحج رغبت بالعودة إلىٰ المدينة فانطلقت غير أنها عندما وصلت إلىٰ موقع (سرِف) بلغها مقتل عثمان، رضي الله عنه، فرجعت إلىٰ مكة بعدما تكلمت خيراً عن عثمان، رضي الله عنه.

عائشة في عهد علي، رضي الله عنهما:

سئلت عائشة، رضي الله عنها، أيّ الناس كان

---

(١) رواه ابن ماجه.

أحبّ إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم،؟ قالت: فاطمة، فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إنه كان صوّاماً قوّاماً.

وقالت: خرج النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، غداةً، وعليه مِرط مُرحّل[1] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله ثم تلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[2] [الأحزاب].

وروت أيضاً عن حبّ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، للحسن بن عليّ، رضي الله عنهما، فقالت: كان، صلىٰ الله عليه وسلم، يأخذ حسناً فيضُمّه إليه، ويقول: «إن هذا ابني فأُحبّه، وأُحبّ من يُحبّه».

وكانت إذا ما سُئلت عن شيءٍ لا تعلمه، تُحيل السائل علىٰ عليّ، رضي الله عنه. فلما سألها شريح بن هانئ عن المسح علىٰ الخُفّين، قالت: عليك بعليّ بن أبي طالب فسله، فإنه كان يُسافر مع رسول الله،

---

(١) مرِط مُرحّل: ثوب منقوش عليه صور رِحال الإبل.

(٢) رواه مسلم.

صلىٰ الله عليه وسلم، فسألناه، فقال: جعل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ثلاثة أيام ولياليهنّ للمسافر، ويوماً وليلةً للمقيم[1]. وربما أحالت بعض الأسئلة مع علمها بالجواب، ومن ذلك أنها لما سُئلت: في كم تُصلي المرأة من الثياب؟ فقالت للسائل: سل علياً ثم ارجع إليّ فأخبرني بالذي يقول لك، قال: فأتىٰ علياً فسأله فقال: في الخمار والدرع السابغ، فرجع إلىٰ عائشة فأخبرها، فقالت: صدق.

بويع عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، بالخلافة بعد مقتل عثمان، رضي الله عنه، وقد ضاق عليّ، رضي الله عنه، ذرعاً من تسلّط الثائرين ومن معهم من الغوغائيين والأعراب، فطلب طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضي الله عنهما، من الخليفة أن يأذن لهما بالذهاب إلىٰ البصرة والكوفة لإحضار قوةٍ لمعاقبة المتمرّدين، فلم يأذن لعدم مناسبة الوقت.

استأذن طلحة والزبير الخليفة علياً بالعمرة فإذن لهما، فأتيا مكة، واتفق رأيهما مع رأي عائشة علىٰ

---

(١) رواه مسلم، وأخرجه أيضاً النسائي وابن ماجه.

معاقبة المتمرّدين ومن والاهم من الغوغائيين والأعراب، كما اتفق رأيهم علىٰ الذهاب إلىٰ البصرة والكوفة لجمع قوةٍ تتمكّن من تحقيق الهدف المنشود ومن الاقتصاص من المجرمين، وهكذا خرجت عائشة، رضي الله عنها، ومن معها من مكة إلىٰ البصرة.

كان الخليفة عليّ، رضي الله عنه، يتهيّأ للخروج من المدينة إلىٰ الشام لإنهاء الوضع مع معاوية، رضي الله عنه، ولما علم الخليفة بخبر خروج أهل مكة مع طلحة والزبير وعائشة، رضي الله عنهم، خرج من المدينة بسرعةٍ، وهو يرجو أن يلتقي بهم في الطريق فيردّهم عن مقصدهم والتفاهم معهم، ولا يريد حرباً، غير أنه لم يلتقِ بهم.

تابع ركب أهل مكة سيرهم، فلما وصلوا إلىٰ ماء بني عامر ليلاً نبحت الكلاب، فقالت عائشة، رضي الله عنها: أيّ ماءٍ هذا؟ قالوا: ماء الحَوْأب، قالت: ما أظنني إلا أني راجعة، فقال لها الزبير، رضي الله عنه: ترجعين، عسىٰ الله عزّ وجل أن يُصلح بك بين الناس، واستمرّت، رضي الله عنها، في الطريق إلىٰ البصرة من أجل الإصلاح بعد أن عزمت علىٰ الرجوع إذ تذكّرت حديث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يقول لنسائه:

«ليت شعري أيّتكن التي تنبحها كلاب الحوأب». وكان قد قال لها بعض من كان معها: بل تقدّمين فيراك المسلمون فيصلح الله عزّ وجلّ بك.

وقبل أن تصل إلىٰ البصرة لقيها رسولان أرسلهما عثمان بن حُنيف ـ والي البصرة من قِبل الخليفة عليّ ـ وهما الصحابي الجليل عمران بن الحصين، والتابعي أبو الأسود الدؤليّ، فاستأذنا عليها، فأذنت لهما، فدخلا وسلّما عليها، وسألاها عما جاءت إليه، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان، لأنه قُتل مظلوماً في شهرٍ حرامٍ وبلدٍ حرامٍ، وتلت قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء]. فخرجا من عندها إلىٰ طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، فقالا له: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقالا: ما بايعت علياً؟ قال: بلىٰ، ولا أستقبله إن هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان. فذهبا إلىٰ الزبير بن العوام، رضي الله عنه، فقال مثل ذلك. فرجع عمران بن الحصين، وأبو الأسود الدؤلي إلىٰ عثمان بن حنيف

فأخبراه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، دارت رحىٰ الإسلام وربِّ الكعبة فانظروا بأي زيفان نزيف مشيراً إلىٰ حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً: «تدور رحا الإسلام لخمس وثلاثين». فقال عمران بن الحصين: إي والله لتعركنّكم عركاً طويلاً.

قال عثمان بن حنيف لعمران بن الحصين: أشر عليّ.

قال عمران: اعتزل، فإني قاعد في منزلي.

قال عثمان: بل أمنعهم حتىٰ يأتي أمير المؤمنين، فنادىٰ في الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع في المسجد، فاجتمعوا، فأمرهم بالتجهّز. فقام رجل وعثمان علىٰ المنبر، فقال: أيها الناس، إن كان هؤلاء القوم جاءوا خائفين فقد جاءوا من بلدٍ يأمن فيه الطير، وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته، فأطيعوني وردّوهم من حيث جاءوا. فقام الأسود بن سريع السعدي، فقال: إنما جاءوا يستعينون بنا علىٰ قتلة عثمان منا ومن غيرنا، فحصبه الناس، فعلم عثمان بن حنيف أن لقتلة عثمان أنصاراً بالبصرة. فكره ذلك.

قدمت عائشة، رضي الله عنها، ومن معها من الناس فنزلوا أعلىٰ المِرْبَد قريباً من البصرة. وخرج إليها من أراد أن يكون معها من أهل البصرة. وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمربد، فتكلم طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، وكان علىٰ الميمنة. فندب إلىٰ الأخذ بثأر عثمان، والطلب بدمه، وتابعه الزبير بن العوام، رضي الله عنه، فتكلّم بمثل مقالته، فردّ عليهما أُناس من جيش عثمان بن حنيف. وتكلّمت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، فحرّضت وحثّت علىٰ القتال، فتناور طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة، ثم تحاجز الناس، ورجع كل فريقٍ إلىٰ حوزته، وقد صارت طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلىٰ جيش عائشة، رضي الله عنها، فكثروا. وجاء حارثة بن قدامة السعدي، فقال: يا أم المؤمنين! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك علىٰ هذا الجمل عرضةً للسلاح، إن كنتِ أتيتينا طائعةً فارجعي من حيث جئت إلىٰ منزلك، وإن كنت أتيتينا مكرهةً فاستعيني بالناس في الرجوع.

وأقبل حكيم بن جبلة ـ وكان علىٰ خيل عثمان بن حنيف ـ فأنشب القتال، وكان أصحاب عائشة،

رضي الله عنها، يكفّون أيديهم، ويمتنعون عن القتال، وجعل حكيم يقتحم عليهم، فاقتتلوا، وأمرت عائشة، رضي الله عنها، أصحابها فتيامنوا حتىٰ انتهوا إلىٰ مقبرة بني مازن، وحجز الليل بينهم، فلما كانوا اليوم الثاني قصدوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتىٰ زال النهار، وقُتل خلق كثير من أصحاب عثمان بن حنيف، وكثرت الجراح في الفريقين.

انقسم أهل البصرة لما سمعوا بقدوم عائشة، رضي الله عنها، ثلاث فِرقٍ: جماعة حبّذت خروج عائشة، رضي الله عنها، وانضمّت إليها، وجماعة بقيت علىٰ ولائها لوالي البصرة عثمان بن حنيف، وأنكرت علىٰ عائشة، رضي الله عنها، خروجها، وجماعة اعتزلت الجماعتين.

التزمت عائشة، رضي الله عنها، مبدأ الإصلاح الذي خرجت من أجله، وذلك في المواقف كلها التي وقفتها في البصرة، فلما بدأ بعض أتباع عثمان بن حنيف القتال أمرت عائشة، رضي الله عنها، من كان معها أن يكفّوا عن القتال ولكن يُدافعون عن أنفسهم، وأمرت منادياً يُناشدهم ويدعوهم إلىٰ الكفّ عن القتال، ولما تمكّن أصحاب عائشة، رضي الله عنها، في

البصرة، وأخذوا عثمان بن حنيف أسيراً أمرتهم أن يُخلوا سبيله ليذهب حيث شاء إذ لم تسمح لهم أن يسجنوه، وبادرت إلىٰ معاقبة الثائرين من أهل البصرة علىٰ عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وأخذ جماعتها بتتبعهم وقتلهم، غير أن واحداً منهم، وهو حرقوص بن زهير قد امتنع بعشيرته الكبيرة بني سعد.

وكان عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، حريصاً علىٰ الإصلاح أيضاً، فعندما اقترب من البصرة أرسل القعقاع بن عمرو إلىٰ طلحة والزبير، رضي الله عنهما، يدعوهما إلىٰ الأُلفة والجماعة، ويُهوّل عليهما الفرقة والشقاق. فخرج القعقاع حتىٰ قدِم البصرة فبدأ بعائشة، رضي الله عنها، فقال لها: أماه، ما أشخصك وما أقدمك إلىٰ هذه البلدة؟ قالت: أي بُنيّ إصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلىٰ طلحة والزبير حتىٰ تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما، فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمُتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان.

قال: فما أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نُصلح.

قالا: قتلة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فإن هذا إن تُرك كان تركاً للقرآن، وإن عُمل به كان إحياء للقرآن.

قال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم كنتم أقرب إلىٰ الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجلٍ إلا واحداً، فغضب لهم ستة آلافٍ، واعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير الذي أُفلت فمنعه ستة آلافٍ وهم علىٰ حذرٍ وخوفٍ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأُديلوا عليكم فالذي حذرتم وفرقتم به هذا أعظم مما أراكم تكرهون، فأنتم أثرتم حمية ربيعة ومضر من هذه البلاد، فاجتمعوا علىٰ حربكم وخذلانكم نصرةً لهؤلاء، كما انضمّ هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير.

فقالت عائشة، رضي الله عنها: فماذا أنت تقول؟.

قال: أقول: هذا الأمر دواؤه التسكين، فإذا سكن تفرّقوا، وإن أنتم بايعتمونا فعلامة خيرٍ، وتباشير رحمةٍ، وإدراك بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة، وإن أنتم أبيتم إلا المكابرة لهذا الأمر، كانت

علامة شرٍّ، وذهاب هذا الثأر، وبعثة الله في هذه الأمة هزاهزها ـ البلايا والحروب ـ. فآثروا العافية تُرزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تُعرّضونا للبلاء، ولا تعرّضوا له فيصرعنا وإياكم، وأيم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف ألا يتمّ فتنزل المحن والبلايا بالأمة وقد قلّ متاعها ونزل بها ما نزل.

فقالوا: نعم، إذن قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم علي، رضي الله عنه، وهو علىٰ مثل رأيك صلُح هذا الأمر.

رجع القعقاع إلىٰ عليّ، رضي الله عنه، فأخبره بما حدث فأعجبه ذلك، وأشرف القوم علىٰ الصلح، كره ذلك من كره، ورضي من رضي.

أثمرت الجهود التي بذلها القعقاع بن عمرو، رضي الله عنه، وتبادل الفريقان الوفود، وخطب عليّ، رضي الله عنه، فحمد الله عزّ وجلّ، وأثنىٰ عليه، وصلىٰ علىٰ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، وذكر الجاهلية وشقاءها، والإسلام والسعادة فيه، وإنعام الله علىٰ الأمة بالجماعة، بالخليفة بعد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه علىٰ هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا،

حسدوا من أفاءها الله عليه علىٰ الفضيلة، وأرادوا ردّ الأشياء علىٰ أدبارها، والله بالغ أمره، ومصيب ما أراد، ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ـ وقد كان، رضي الله عنه، نازلاً بـ(ذي قار)، وبعد نجاح مساعي الصلح ارتحل حتىٰ نزل قرب البصرة ـ ولا يرحل غداً أحد أعان علىٰ عثمان، رضي الله عنه، بشيء من أمور الدنيا، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسهم.

أدرك الغوغائيون أن الصلح ليس لصالحهم، وأن الدائرة ستدور عليهم، فأنشبوا القتال بخُبثٍ، وحاول عليّ، رضي الله عنه، بوقف القتال، فيُنادي: كفّوا أيها الناس، فليس هناك من مجيبٍ، وجاء قاضي البصرة (كعب بن سور) فأتىٰ عائشة، رضي الله عنها، فقال لها: أدركي الناس فقد أبىٰ الغوغائيون إلا القتال لعلّ الله يُصلح بك، فركبت الجمل، ووُضعت الدروع علىٰ هودجها، وأخذ كعب بزمام الجمل، فقالت: خلٍّ يا كعب عن البعير، وتقدّم بكتاب الله عزّ وجل فادعهم إليه ـ ودفعت إليه مصحفاً ـ فأقبل الغوغائيون وأمامهم السبئية يخشون أن يتمّ الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعليّ، رضي الله عنه، من الخلف يعمل لردعهم وردّهم فيأبون إلا الإقدام، وقد رشقوا كعباً

فقتلوه، ورموا عائشة، رضي الله عنها، في هودجها، فجعلت تنادي: يا بنيّ البقية، البقية، ويرتفع صوتها ـ الله، الله ـ فيأبون إلا الإقدام.

أدركت عائشة، رضي الله عنها، أن الأمر قد أُفلت من يدها، وأن قتلة عثمان، رضي الله عنه، هم الذين أنشبوا القتال، فما كان منها إلا أن نادت بحرقةٍ ولوعةٍ، وهي ترىٰ دماء المسلمين تُسفك حولها! أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، فضجّ أهل البصرة بلعن قتلة عثمان، وجاء عليّ، رضي الله عنه، وساهم في لعن قتلة عثمان وأشياعهم.

أُصيب طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، في أول المعركة بسهمٍ فترك المكان إلىٰ داخل البصرة فمات متأثّراً بجرحه.

وكان الزبير بن العوام، رضي الله عنه، قد ترك المكان منذ بدء القتال، وسار إلىٰ مكانٍ يُعرف بـ(وادي السباع)، فلحق به عمرو بن جرموز فقتله غيلةً.

وخرجت عائشة، رضي الله عنها، إلىٰ ميدان القتال لإيقافه فوقع عكس ما تريد إذ حمي الوطيس، وعملت السبئية علىٰ رميها فاستبسل من حولها من أزد

البصرة، وبني ضُبّة، حتىٰ قُتل علىٰ خُطام جملها أربعون، وقيل سبعون. وكان بنو ضُبّة يرتجزون حول الجمل:

نحن بنو ضبّة أصحاب الجمل

ننازل الموت إذا الموت نزل

والموت عندنا أشهىٰ من العسل

ننعىٰ ابن عفان بأطراف الأسل

حتىٰ يُعقر الجمل

وأدرك عليّ، رضي الله عنه، أن القتال لن يتوقّف.

فنادىٰ: اعقروا الجمل، فإنه إن عُقر تفرّقوا، فعقره رجل. وأمر عليّ، رضي الله عنه، محمد بن أبي بكرٍ أن يضرب علىٰ أُخته عائشة، رضي الله عنها، قُبّةً، وأن يطمئن علىٰ سلامتها.

خرج محمد بن أبي بكر آخر الليل بأخته عائشة، رضي الله عنها، فدخل بها البصرة، وأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي علىٰ صفيّة ابنة الحارث، وكانت الموقعة يوم الخميس لعشرٍ من شهر جمادىٰ الآخرة سنة ستٍ وثلاثين من الهجرة.

أقام علي، رضي الله عنه، في عسكره ثلاثة، فدفن الناس موتاهم، وصلّىٰ علىٰ قتلىٰ الفريقين، وقال: إني لأرجو ألا يكون أحد نقي قلبه إلا أدخله الله الجنّة. ودخل مدينة البصرة يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادىٰ الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين، فوصل إلىٰ المسجد فصلّىٰ فيه، ثم مشىٰ إلىٰ عائشة، رضي الله عنها، فسلّم عليها.

جهّز عليّ، رضي الله عنه، عائشة، رضي الله عنها، بكل ما تحتاج إليه من زادٍ، ومركبٍ، ومتاعٍ، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها من مكة، وكذلك أربعين امرأةً من نساء البصرة المعروفات، وقد اختارهنّ إليها، ثم طلب من أخيها محمد أن يتجهّز ليُبلّغها مكة. ولما كان اليوم الذي سترحل به، جاء إليها، وجاء الناس فودّعوها، وودّعتهم، وقالت: يا بَنيَّ عتب بعضنا علىٰ بعضٍ، فلا يعتدّنّ أحد منكم علىٰ أحدٍ بشيءٍ بلغه من ذلك. إنه والله ما كان بيني وبين عليٍّ في الماضي إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندي علىٰ عتبي لمن الأخيار.

وقال عليّ، رضي الله عنه: صدقت والله وبرّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيّكم،

صلىٰ الله عليه وسلم، في الدنيا والآخرة.

وخرجت عائشة، رضي الله عنها، من البصرة يوم السبت لغرّة شهر رجب سنة ستٍّ وثلاثين، وشيّعها عليّ أميالاً، وسيّر أولاده معها يوماً، فقصدت مكة فأقامت إلىٰ الحج، ثم رجعت إلىٰ المدينة بعد الموسم، وقد غابت عن المدينة طويلاً.

رأي في معركة الجمل:

لننظر هل كانت معركة الجمل بين أعداءٍ ألداء، كما يصف ذلك بعضهم، أم بين إخوةٍ أوقع الشيطان بينهم، فطاشت أحلامهم، ثم ثابت؟ ويمكن أن نتعرف علىٰ هذا من النتائج.

كانت رؤوس جيش البصرة: طلحة، والزبير، وعائشة، رضي الله عنهم، فلننظر ما الرأي بهم؟.

التقىٰ القعقاع بن عمرو التميمي أحد قادة جيش عليّ وحكمائه أثناء المعركة مع طلحة وهو يُقاتل جريحاً، فقال له: يا أبا محمد، إنك جريح فحبذا لو دخلت أحد البيوتات. فبطل يرىٰ قائد خصومه جريحاً، فيطلب منه الخلود إلىٰ الراحة من أجل العافية أم يُجهز عليه!!!.

وجاء عمرو بن جرموز بعد المعركة يستأذن علياً،

وقال: قل له: قاتل الزبير، فقال عليّ: ائذن له وبشّره بالنار. فهل القائد يفرح بقتل قائد خصومه أم يتأثّر، ثم يقول: إن قاتله لا شكّ في النار؟.

وزار عليّ، رضي الله عنه، عائشة، رضي الله عنها، بعد المعركة، وضرب من تكلّم عنها، وقال عندما شيّعها في غرّة شهر رجب مع أخيها محمد بن أبي بكر: إنها زوجة نبيّكم في الدنيا والآخرة، وأعطاها مبلغاً كبيراً من المال، وسيّر في رَكْبها عدداً من النساء. وعندما زارها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي كان عدد من الجرحىٰ المختبئين في تلك الدار، وهو يعرف مكانهم، ومكان غيرهم، وقد تجاهل ذلك وكأنه لم يعلم شيئاً، إذ لم يكونوا خصوماً كما يُصوّر ذلك بعضهم، فلو كانوا كذلك لنالوا ما نالوا.

كما كان عليّ، رضي الله عنه، قد طلب من جنده ألا يُجهزوا علىٰ جريحٍ، ولا يتبعوا هارباً، ولا يدخلوا داراً، ولا يحوزوا مالاً، ولا يؤذوا امرأةً ولا طفلاً ولا غير مقاتلٍ مُصرٍّ مُعاندٍ، وهذا كله يدلّ علىٰ الأخوة التامة، ولكن الشيطان أوقع بينهم، ولكلٍّ وجهة نظره واجتهاده الخاص، وهو عليها مأجور ـ بإذن الله ـ.

عائشة في عهد معاوية، رضي الله عنهما:

لم تكن عائشة، رضي الله عنها، لترضىٰ أيام معاوية كما كانت أيام الخلفاء الراشدين وذلك بسبب بعض الأحداث.

١" ـ كان أخوها محمد بن أبي بكرٍ والياً علىٰ مصر لعليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، فثار عليه الموالون لمعاوية بن أبي سفيان بقيادة معاوية بن حُديج السكوني، فأرسل معاوية قوةً بقيادة عمرو بن العاص لدعم أعوانه فانتصروا علىٰ والي مصر محمد بن أبي بكر الذي وقع أسيراً بيد معاوية بن حُديج فقتله فتأثّرت عائشة، رضي الله عنها، ودعت علىٰ معاوية، وقد أعالت عائشة، رضي الله عنها، عيال أخيها المقتول، ومنهم القاسم بن محمد، ولم يبلغ المقتول الثلاثين من العمر.

٢" ـ منع مروان بن الحكم والي المدينة من قِبل معاوية بن أبي سفيان أن يُدفن الحسن بن علي، رضي الله عنهما، في الحجرة النبوية بعد أن أذنت عائشة بذلك. وكادت تقع فتنة إذ أصرّ الحسين بن علي، رضي الله عنه، علىٰ دفن أخيه في الحجرة، فجزعت عائشة، رضي الله عنها، جزعاً شديداً علىٰ ما جرىٰ.

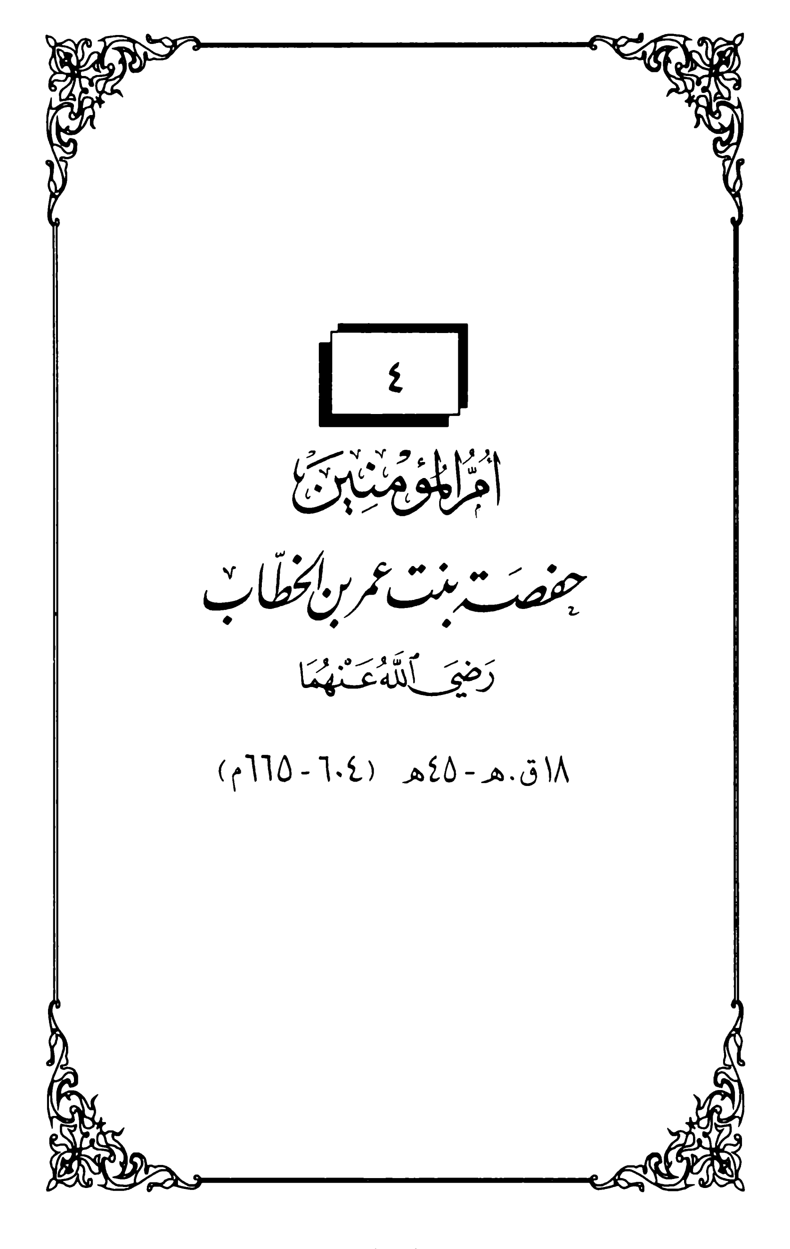
٣" ـ عندما عهد معاوية لابنه يزيد من بعده.

٤" ـ قتلُ معاوية لحجر بن عدي لأنه قام للصلاة وقام الناس معه حيث أطال والي الكوفة زياد بن أبيه بالخطبة رغم تنبيه حجر له.

ورغم ذلك فقد حرص معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، حرصاً شديداً علىٰ تحسين علاقته مع أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها.

وفاة عائشة، رضي الله عنها:

مرضت عائشة، رضي الله عنها، في شهر رمضان سنة ٥٨ للهجرة. واشتدّ عليها المرض، وتوفيت، رضي الله عنها، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من شهر رمضان، وصلىٰ عليها أبو هريرة، رضي الله عنه، ودُفنت في البقيع حسب وصيتها، في الليلة نفسها التي ماتت فيها بعد صلاة التراويح والوتر، وقد بلغت من العمر السابعة والستين (٩ قبل الهجرة ـ ٥٨ للهجرة).



٤

أم المؤمنين

حفصة بنت عمر بن الخطّاب

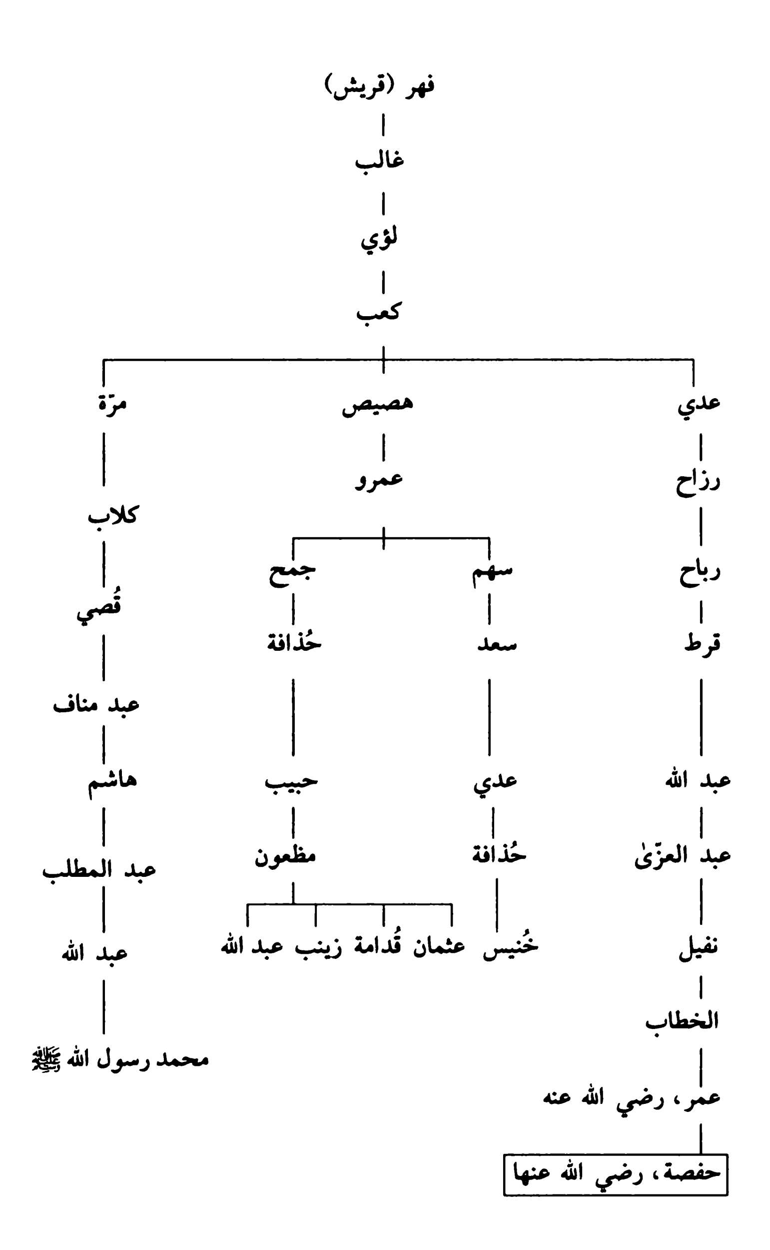
رضي الله عنهما

١٨ ق.هـ - ٤٥هـ (٦٠٤ - ٦٦٥م)

حفصة بنت الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّىٰ بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش).

وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن حذافة بن جُمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش).

وُلدت حفصة، رضي الله عنها، في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة أيّ قبل البعثة بسنواتٍ خمسٍ، وتزوّجت خُنيس بن حُذافة السهميّ، وقد أعلن إسلامه قبل دخول رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، دار الأرقم، وقد دخل في الإسلام علىٰ يد الصديق أبي بكرٍ، رضي الله عنه.


فهر (قريش)
غالب
لؤي
كعب
عدي
هصيص
مرّة
رزاح
عمرو
كلاب
رباح
سهم
جمح
قُصي
قرط
سعد
حُذافة
عبد مناف
عبد الله
عدي
حبيب
هاشم
عبد العزّىٰ
حُذافة
مظعون
عبد المطلب
نفيل
خُنيس
عثمان
قُدامة
زينب
عبد الله
عبد الله
الخطاب
محمد رسول الله ﷺ
عمر، رضي الله عنه
حفصة، رضي الله عنها

ولما اشتدّ أذىٰ مشركي قريش علىٰ المسلمين هاجر فريق من المسلمين من مكة، منهم خُنيس بن حُذافة مع زوجته حفصة، رضي الله عنها، وبعد مدة في الحبشة بلغ أولئك المهاجرين أن أهل مكة قد أسلموا، فعزم فريق منهم علىٰ العودة إلىٰ بلدهم مكة حرصاً علىٰ الفائدة من اللقاء مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ودعوةً للإسلام، ودعماً لأهله، وصلةً للرحم، وذلك في السنة السادسة من البعثة، ومن هؤلاء العائدين خُنيس بن حُذافة مع زوجته حفصة، رضي الله عنها.

وأقامت حفصة، رضي الله عنها، مع زوجها في مكة، ولكن وضع أهل مكة لم يتغيّر كثيراً، وكانت بيعتا العقبة من أهل يثرب لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وبدأ الإسلام ينتشر في يثرب فرأىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أن يُهاجر المسلمون في مكة إلىٰ يثرب حيث إخوانهم هناك يدعونهم ويُرحّبون بهم، فكانت الهجرة إلىٰ يثرب وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من هؤلاء المهاجرين، وعُرفت يثرب بعدها باسم (المدينة المنورة) لقدوم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إليها. وكذلك هاجر خُنيس بن

حُذافة مع زوجته حفصة، رضي الله عنهما.

ظهرت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بتوجيه الرسول الكريم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وعمل علىٰ إضعاف المشركين، ومنهم مشركو قريش كي ينتشر الإسلام، وتعمّ الدعوة، وترتفع راية الإيمان. وكانت معركة بدر بين المسلمين ومشركي قريش، وشارك فيها خنيس، وأبلىٰ البلاء الحسن، وأُصيب بعدة جراحٍ، وبعد المعركة التهبت عليه الجراح، وكانت نهايته، فتأيّمت زوجه حفصة، رضي الله عنهما.

عرض عمر الفاروق، رضي الله عنه، ابنته حفصة علىٰ أبي بكر، رضي الله عنه، فلم يُجبه بشيءٍ، وعرضها علىٰ عثمان، رضي الله عنه، فقال له: بدا لي ألّا أتزوج اليوم، وكانت زوجته رقيّة بنت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد توفيت. فوجد عمر عليهما، رضي الله عنهم، وانكسر، وشكا حاله إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال له: «يتزوّج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة».

ثم خطب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم،

حفصة فزوّجه عمر. وزوّج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، عثمان بابنته أم كلثوم بعد وفاة أختها رُقيّة.

ولما أن زوّج عمر، رضي الله عنه، ابنته حفصة لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لقيه أبو بكر، رضي الله عنه، فاعتذر إليه، وقال له: لا تجد عليّ، فإن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سرّه، ولو تركها لتزوجتها.

وبنىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بحفصة، رضي الله عنها، بعد انقضاء عدّتها من خُنيس بن حُذافة السهميّ، وذلك في سنة ثلاثٍ من الهجرة، وبذلك يكون عمرها يوم تزوّجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، نحو عشرين سنةً.

ورُوي أن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، طلّق حفصة تطليقةً، فبلغ ذلك عمر، رضي الله عنه، فحثا علىٰ رأسه التراب، ما يعبأ الله بعمر وابنته. فنزل جبريل من الغد، وقال للنبي، صلىٰ الله عليه وسلم: إن الله يأمرك أن تُراجع حفصة رحمةً لعمر[١]، رضي الله عنهما. ورُوي: أنه قال له: إنها صوّامة، قوّامة، وهي

(١) أخرجه الطبراني.

زوجتك في الجنة[1].

قالت: عائشة، رضي الله عنها: إن حفصة هي التي كانت تُساميني من أزواج النبي، صلىٰ الله عليه وسلم.

ذهبت حفصة إلىٰ أبيها، رضي الله عنهما، فتحدّثت عنده، فذهب النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ بيتها فلم يجدها، فأرسل إلىٰ جاريته مارية القبطية، فبقيت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، رضي الله عنها، فرجعت حفصة، فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرةً شديدةً، فأخرج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جاريته، ودخلت حفصة، فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سُؤْتني، فقال النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم: «والله لأُرضينّك؛ فإني مُسِرّ إليك سرّاً فاحفظيه»، قالت: ما هو؟ قال: «إني أشهدك أن سُؤيَتي هذه عليّ حرام رِضاً لك». وكانت حفصة وعائشة، رضي الله عنهما، تظاهران علىٰ نساء النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم. فانطلقت حفصة إلىٰ عائشة، فأسرّت إليها أن

(١) أخرجه النسائي: ٦/٢١٣.

أبشري إن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، قد حرّم عليه فتاته (مارية)، فلما أخبرت بِسِرّ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، أظهر الله عزّ وجلّ ذلك للنبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، فأنزل الله علىٰ رسوله لما تظاهرتا عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم].

كان ابن عباس، رضي الله عنهما، يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١] يعني أن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، حرّم جاريته، فقال الله جلّ ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ إلىٰ قوله: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ فكفّر يمينه، فصيّر الحرام يميناً.

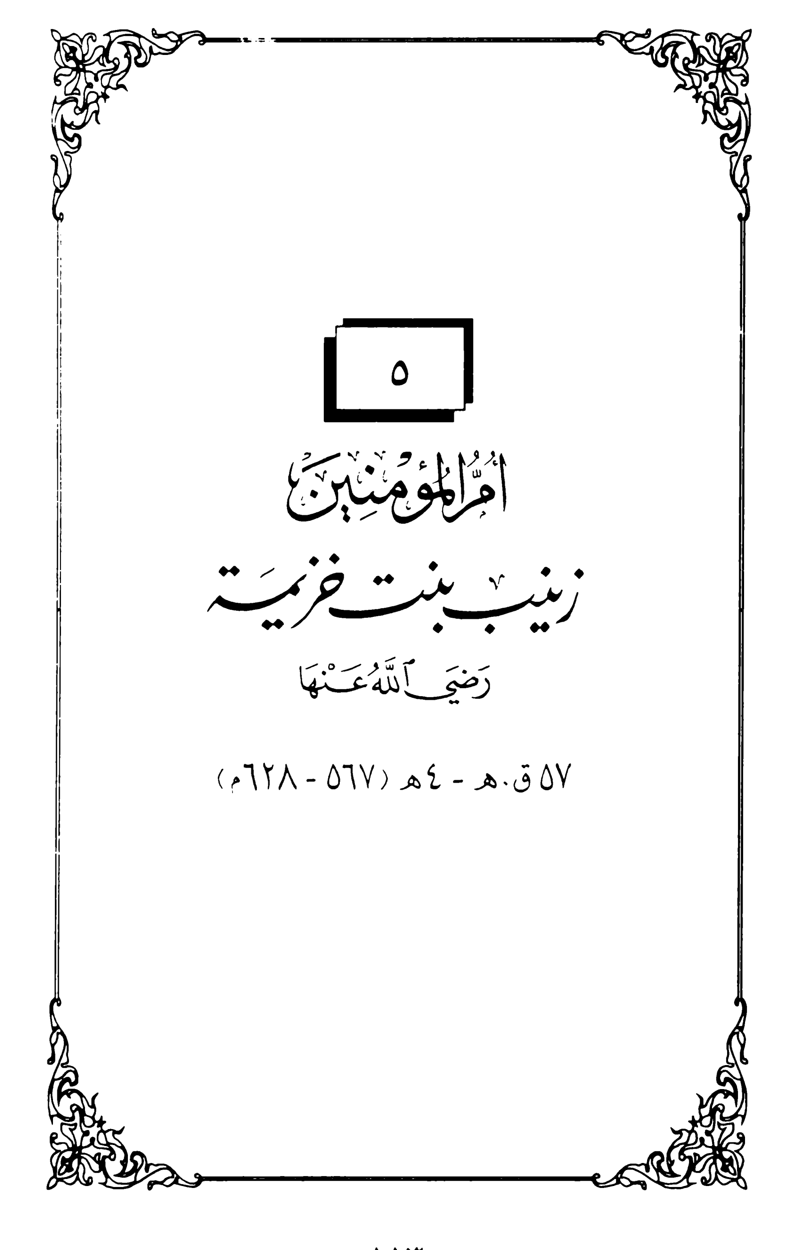
وروىٰ: أن النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، دخل

بيت حفصة، فإذا هي ليست ثَمَّ، فجاءته فتاته، وألقىٰ عليها ستراً، فجاءت حفصة فقعدت علىٰ الباب حتىٰ قضىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، حاجته، فقالت: والله لقد سُؤْتَني، جامعتها في بيتي، أو كما قالت، قال: وحرّمها النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، أو كما قال.

توفيت حفصة، رضي الله عنها، بالمدينة المنورة سنة خمسٍ وأربعين من الهجرة، وصلّىٰ عليها والي المدينة يومذاك مروان بن الحكم، كما أنه حمل سريرها. وحملها أبو هريرة، رضي الله عنه، من دار المغيرة إلىٰ قبرها.

روت، رضي الله عنها، ستين حديثاً. اتفق الشيخان علىٰ أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث.

عاشت حفصة، رضي الله عنها، ثمان سنواتٍ مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ولم تُنجب له. وبقيت بعده أربعاً وثلاثين سنةً.



٥

أم المؤمنين

زينب بنت خزيمة

رضي الله عنها

٥٧ ق.هـ - ٤هـ (٥٦٧ - ٦٢٨م)

زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية.

وأمها هند بنت عوف بن زهير.

ولدت بمكة سنة ٥٧ قبل الهجرة (٥٦٧م) وذلك قبل مولد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بأربع سنواتٍ.

تزوّجت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب (ابن عمّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم،)، ثم طلّقها بعد مدةٍ، وبعد أن انتهت عدّتها خلفه عليها أخوه عبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدرٍ في المبارزة، وذلك أنه خرج يومذاك من جيش مشركي قريش عُتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة حتىٰ إذا فصل من الصفّ دعا إلىٰ المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عَوْف ومُعوّذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ وآخر هو عبد الله بن رواحة، فقال عُتبة بن ربيعة: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قال عُتبة: ما لنا بكم من حاجةٍ؟ ثم نادىٰ منادي المشركين: يا محمد، أخرج

إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «قُم يا عبيدة بن الحارث، وقُم يا حمزة بن عبد المطلب، وقُم يا عليّ بن أبي طالب»، فلما قاموا ودنوا منهم، قال عُتبة بن ربيعة: من أنتم؟ قال عُبيدة: عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وقال حمزة: حمزة بن عبد المطلب، وقال عليّ: عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب. قال عُتبة بن ربيعة: نعم، أكفاء كرام. فبارز عُبيدة، وكان أسنّ القوم، عُتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله.

وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله.

واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه (جرحه جراحة بالغة).

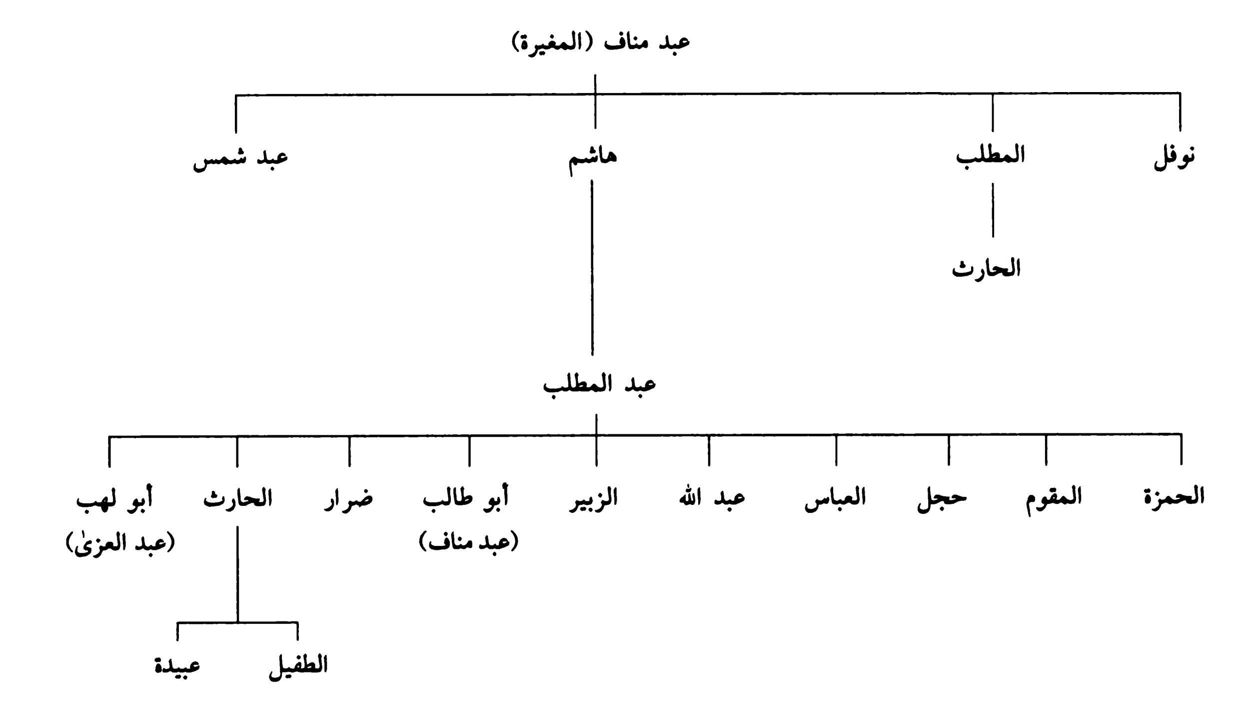
وكرّ حمزة وعليّ بسيفيهما علىٰ عُتبة فذَفّفا عليه (أسرعا بقتله). واحتملا صاحبهما عبيدة بن الحارث إلىٰ أصحابه فأضجعوه إلىٰ جانب موقف رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فأشرفه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قدمه فوضع خده علىٰ قدمه الشريفة،

وقال: يا رسول الله، لو رآني أبو طالب لعلم أني أحق بقول:

وَنُسْلِمُهُ حتىٰ نُصَرَّعَ دونه
ونذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

ثم مات، رضي الله عنه، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «أشهد أنك شهيد».

وقد تأثّرت زينب، رضي الله عنها، بعد فقد زوجها، إذ لم يبق لها مُعيل، ولم يتقدّم إليها أحد لسنّها الذي قارب الستين، كما أن زوجها الشهيد هو ابن عمّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فلم يجد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بُدّاً من أن يُضيفها إلىٰ أسرته، فتزوجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد انتهاء عدّتها، ولكن لم تمكث عنده أكثر من شهرين، أو أكثر قليلاً، وتوفيت، رضي الله عنها. وكان قد أصدقها النبي الكريم، صلىٰ الله عليه وسلم، أربعمائة درهمٍ، وبنىٰ لها حجرةً إلىٰ جانب حجرة عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم جميعاً، وذلك قرب المسجد النبوي. وكان زواجه منها في شهر رمضان بعد سنتين وسبعة أشهرٍ من الهجرة النبوية.


عبد مناف (المغيرة)
نوفل
المطلب
هاشم
عبد شمس
الحارث
عبد المطلب
الحمزة
المقوم
حجل
العباس
عبد الله
الزبير
أبو طالب
(عبد مناف)
ضرار
الحارث
أبو لهب
(عبد العزىٰ)
الطفيل
عبيدة

توفيت زينب، رضي الله عنها، في السنة الرابعة للهجرة (٦٢٨م).

كانت زينب، رضي الله عنها، تُكنىٰ (أم المساكين)، وهي كنية قديمة من حياتها الجاهلية، وسُمّيت بذلك لكثرة إطعامها المساكين، وعطفها عليهم، وكثرة صدقاتها عليهم، وبرّها لهم، وإحسانها إليهم. لقد كانت أكثر النساء رحمةً للفقراء في الجاهلية، وفي الإسلام، وزادت من عطفها عليهم بعد أن أنعم الله عليها بنعمة الإيمان، وبعد أن أكرمها الله بدخول البيت النبوي لتكون من بين أمهات المؤمنين، رضي الله عنهنّ.

لم تروِ شيئاً من الأحاديث النبوية لقصر مدتها قائمةً في البيت النبوي.

ولم تُنجب لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

وأخواتها من أُمّها هنّ:

١" ـ ميمونة بنت الحارث: أم المؤمنين، آخر زوجات رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

٢" ـ لبابة بنت الحارث: زوجة العباس، رضي الله عنه، وأنجبت له سبعةً، منهم: الصحابي

عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما. قال الشاعر:

ما ولدت نجيبة من فحل
كسبعةٍ من بطن أم الفضل

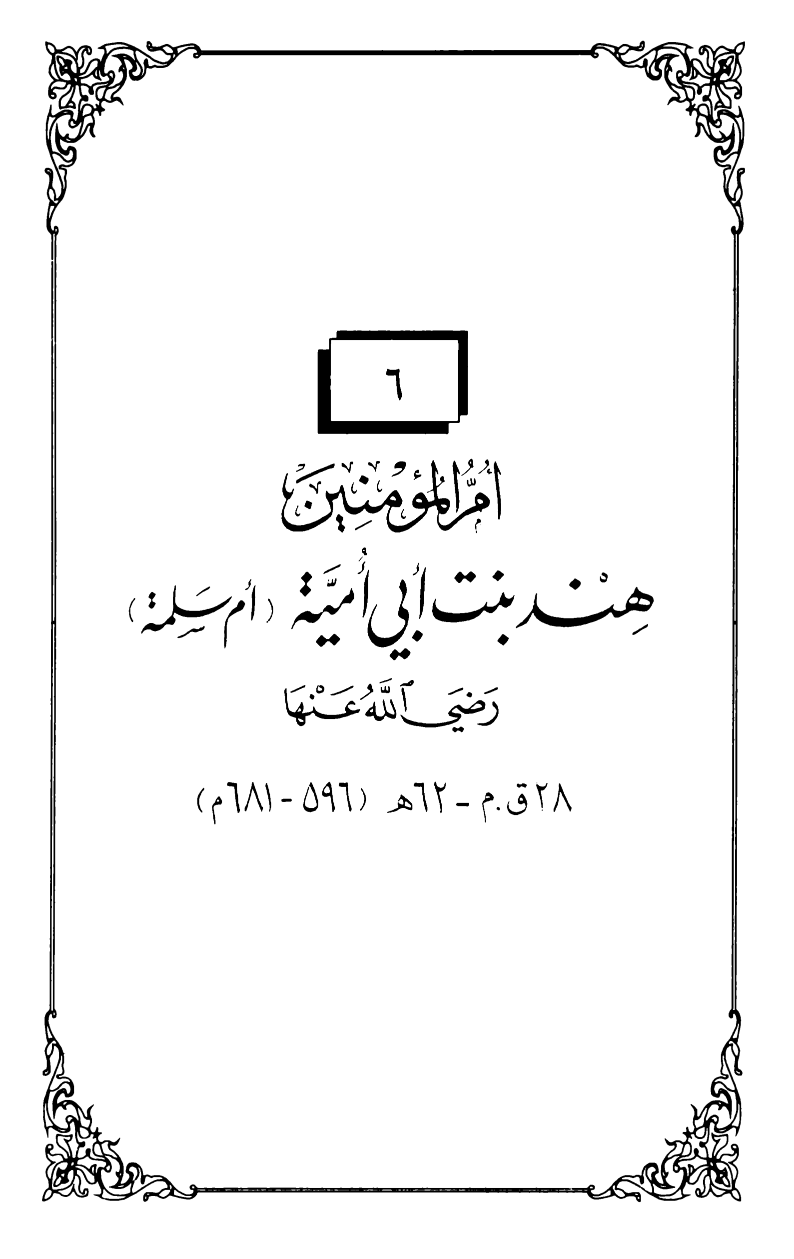
"٣ - عصماء بنت الحارث: زوجة الوليد بن المغيرة، وهي أم خالد بن الوليد، رضي الله عنه.

"٤ - أسماء بنت عميس: زوجة جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، ولدت له في الحبشة عبد الله، ومحمداً، وعوناً.

وبعد أن استشهد في مؤتة تزوّجها أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وولدت له محمداً.

وبعد وفاة أبي بكر، رضي الله عنه، تزوّجها عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه.

"٥ - سلمىٰ بنت عميس: زوجة الحمزة بن عبد المطلب.



٦

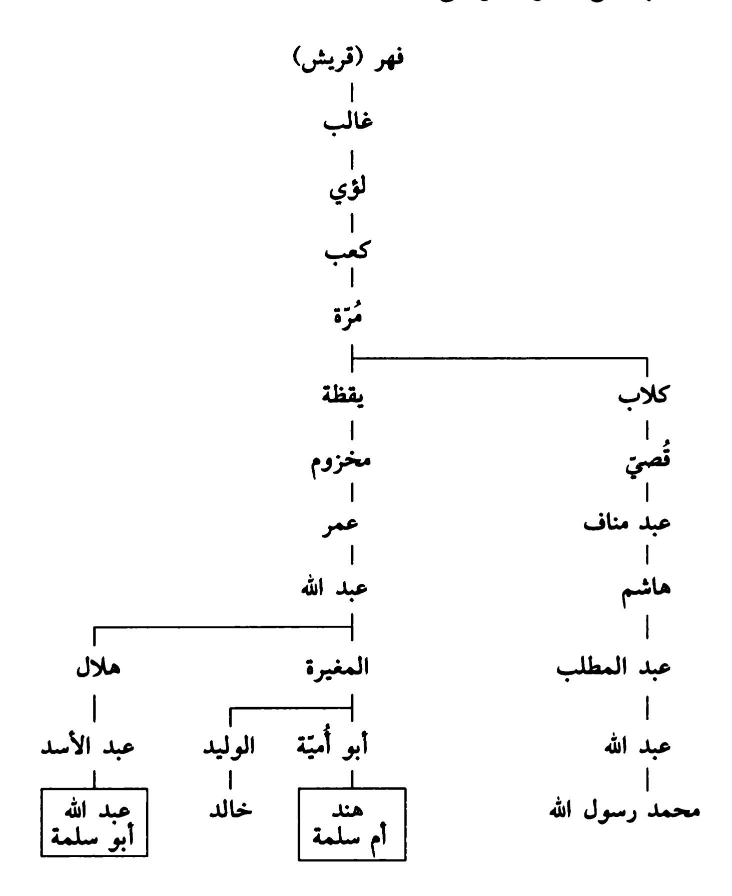
أُمُّ المُؤْمِنِينَ

هِنْد بنت أبي أُمَيَّة (أم سلمة)

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

٢٨ ق.م - ٦٢هـ (٥٩٦ - ٦٨١م)

هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش).



وعُرف أبوها (أبو أمية) بلقب زاد الركب، وقيل اسمه: سهيل، وقيل: حذيفة.

وأما أمها فهي عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة بن علقمة من كنانة.

ولدت أُمّ سلمة، رضي الله عنها، سنة ٢٨ قبل الهجرة (٥٩٦م) في مكة، فهي أصغر من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بخمسٍ وعشرين سنةً.

تزوجت ابن عمّها أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو ابن عمّة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بَرَّة بنت عبد المطلب. وكان أبو سلمة أخا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من الرضاعة، أرضعتهما مولاة لأبي لهب.

وأنجبت أم سلمة لأبي سلمة: سلمة، وعمر، وزينب، ورُقيّة.

وكانت أم سلمة، رضي الله عنها، من السابقين إلىٰ الإسلام، وهاجرت مع زوجها أبي سلمة، رضي الله عنهما، إلىٰ الحبشة، وكانا من أوائل المهاجرين، وأنجبت هناك ولدها سلمة، ومع عودة المهاجرين رجعا إلىٰ مكة، ودخلا بجوار أبي طالب، خال أبي

سلمة. واجتمعت قريش علىٰ أبي طالب لإجارته أبي سلمة، وقالت: يا أبا طالب، لقد منعتَ محمد ابن أخيك، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ فقال أبو طالب: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، فانصرفوا عنه.

وبدأت الهجرة من مكة إلىٰ المدينة، وأشار رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ بعض أصحابه بالهجرة إلىٰ المدينة، وكان منهم أبو سلمة، رضي الله عنه، الذي انطلق مع أسرته، فكان يقود البعير، وخلفه زوجه أم سلمة تحتضن طفلها سَلَمة.

وتصايح مشركو مكة، ولحقوا بالركب، وظفروا بأبي سلمة، فقال له بنو المغيرة جماعة أم سَلَمة: هذه نفسك يا أبا سلمة، غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه! علام نتركك تسير بها في البلاد؟ وبدؤوا بالتهديد، حيث نزعوا خطام البعير من يده، واختطفوا الزوجة من زوجها، ولم يستطع، وهو الوحيد، بالدفاع أمام جمعٍ كثيرٍ. وقال بنو عبد الأسد جماعة أبي سلمة: والله لا نترك ابننا عندها. وبدأ الصراع، وخُلعت يد الطفل، وأخذه بنو عبد الأسد منها. وكان الأسىٰ، والحزن، والألم، واضطر أبو سلمة أن يُتابع طريقه إلىٰ المدينة. وبقيت أم سلمة في

مكة عند أهلها، وبقي ولدها سلمة عند أهل أبيه.

وتقول أم سلمة: كنت أخرج كل غداةٍ، فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي.

وصادف أن مرّ بها رجل من بني عمومتها من بني المغيرة جماعة أبي سلمة، ورأىٰ حالها فرقّ قلبه، واستشعر بالرحمة، وأحسّ بالرأفة، ويبدو أنه من أصحاب المكانة، فقال: ألا تُخرجون هذه المسكينة فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها. فوصل الخبر، ووقع الكلام موقع الإجابة من نفوسهم وموقع الرحمة في نفوسهم، فسمحوا لها بأن تلحق بزوجها المهاجر إلىٰ المدينة، ووصل الخبر أيضاً إلىٰ بني عبد الأسد جماعة أبي سلمة الذين احتجزوا عندهم طفلها في العام الماضي فردّوا إليها ابنها.

خشيت أم سلمة، رضي الله عنها، فأسرعت بالرحيل وحدها، إذ تقول: ما معي أحد من خلق الله.

وصلت أم سلمة، رضي الله عنها، إلىٰ منطقة التنعيم فلقيت هناك عثمان بن طلحة، فعرفها، فقال لها: إلىٰ أين يا ابنة أبي أُميّة؟.

قالت: أريد زوجي أبا سلمة بالمدينة.

قال: أوَما معك أحد؟.

قالت: ما معي أحد إلا الله وبُنَيّ هذا.

قال: والله ما لك من مترك.

وعزم عثمان بن طلحة[1] علىٰ الرحيل معها ليوصلها إلىٰ زوجها، ويقطع بها البراري والمفاوز، وكان رجل خيرٍ، تقول أم سلمة: (فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطّ أرىٰ أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتىٰ إذا نزلت استأخر بعيره فحطّ عنه، ثم قيّده في شجرة، ثم تنحّىٰ إلىٰ شجرةٍ فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلىٰ بعيري، فقدّمه ثم استأخر عني، وقال: اركبي. فإذا ركبت أخذ بخطام البعير فقادني، فلم يزل يصنع ذلك بي حتىٰ أقدمني المدينة، فلما نظر إلىٰ قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية،

---

(١) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله القرشي العبدري، من بني عبد الدار: صحابي. كان حاجب البيت الحرام، أسلم مع خالد بن الوليد في هدنة الحديبية، وهاجر مع خالد، وشهد فتح مكة، فدفع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إليه مفتاح الكعبة وإلىٰ ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، ثم سكن المدينة، واستشهد بأجنادين سنة ٤١هـ.

فادخليها علىٰ بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلىٰ مكة).

وتلتقي أم سلمة، رضي الله عنها، مع زوجها أبي سلمة، رضي الله عنه، ويعود اجتماع شمل الأسرة من جديد. وأنجبت أم سلمة، رضي الله عنها، في المدينة: عمر، وزينب، ورقية.

شهد أبو سلمة، رضي الله عنه، غزوة بدر، وغزوة أحد، وأبلىٰ بلاءً حسناً، وجُرح يوم أُحُدٍ جرحاً بليغاً في عضده، وكاد يودي بحياته، وعوفي منه بعد مدةٍ.

بلغ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد شهرين من غزوة أُحدٍ أن بني أسد يعدّون العدّة لمهاجمة المسلمين في عقر دارهم في المدينة، فدعا أبا سلمة، وعقد له لواء سريةٍ إلىٰ جبل قَطَن بناحية (فيد)[1] وهو ماء لبني أسد، وذلك في شهر المحرم من السنة الرابعة للهجرة، وأرسل معه مائةً وخمسين مُقاتلاً.

انطلق القائد أبو سلمة، رضي الله عنه، ليُنفّذ ما وصّاه به رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من أخذ العدوّ علىٰ حين غِرّةٍ، فوصل إلىٰ العدوّ مع ظُلمة

---

(١) فيد: موقع جنوب شرقي مدينة حائل، وعلىٰ بُعد مائة كيلومتر منها.

الفجر، ومن غير استعدادٍ للقتال، والتقىٰ بهم فحقّق ما أُمر به، وعاد ورجاله إلىٰ المدينة سالمين غانمين، وذلك في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، بعد غياب تسعةٍ وعشرين يوماً. وقد استعاد المسلمون بعد هذه المعركة هيبتهم بعد أن أصابهم ما أصابهم في غزوة أُحُدٍ.

ولكن أثناء هذه المعركة التهب الجرح الذي أصاب أبا سلمة، رضي الله عنه، في غزوة أُحُدٍ، وبقي يُعاني منه الألم، حتىٰ توفي، رضي الله عنه، في الثامن من شهر جمادىٰ الآخرة في السنة الرابعة من الهجرة. وكان، رضي الله عنه، قد ضحّىٰ من الجهد ما استطاع، وبذل من الإمكانات ما أمكنه في هذه المعركة التي قادها حيث نزف دمه من جرحه القديم الذي ضُمّد علىٰ غشٍّ. ووقف رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ جُثمانه، وبقي إلىٰ جانبه يدعو له بالخير، فأسبل بيده علىٰ عينيه، وكبّر عليه تسع تكبيراتٍ، فقيل له: يا رسول الله، أَسَهَوْتَ أم نسيت؟ قال: «لم أَسْهُ، ولم أَنْسَ، ولو كبّرت علىٰ أبي سلمة ألفاً كان أهلاً لذاك».

روىٰ ابن عبد البر أن أبا سلمة قال حين حضرته

الوفاة: اللهم اخلفني في أهلي بخيرٍ، فأخلفه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ زوجته أُمِّ سلمة، فصارت أُمَّاً للمؤمنين، وعلىٰ بنيه من بعده سَلَمَة، وعمر، وزينب، ورقية.

قال الواقدي: حدّثنا عمر بن عثمان، عن عبد الملك بن عبيد، عن سعيد بن يربوع، عن عمر بن أبي سلمة، قال: بعث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أبي إلىٰ جبل قَطَن في شهر المحرم سنة أربعٍ، فغاب تسعاً وعشرين ليلةً، ثم رجع في شهر صفر، وجرحه الذي أصابه يوم أُحُدٍ مُنتقِض، فمات منه، لثمانٍ خلون من شهر جُمادىٰ الآخرة. وحلّت أمي في شهر شوّال، وتزوّجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

روىٰ الإمام أحمد في «مسنده»(١) عن أم سلمة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «إذا حضرتم الميت أو المريض فقولوا خيراً؛ فإن الملائكة يُؤمّنون علىٰ ما تقولون»، قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات، فقال:

---

(١) المسند: ٦/ ٢٩١.

«قولي: اللهم اغفر له، وأعقبني منه عقبىٰ حسنة». قالت: فقلت، فأعقبني الله عزّ وجلّ مَن هو خير لي منه محمداً، صلىٰ الله عليه وسلم.

وروىٰ ابن سعد: أخبرنا أحمد بن إسحاق الحضرمي: حدثنا عبد الواحد بن زياد: حدثنا عاصم الأحول، عن زياد بن أبي مريم، قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنّة ثم لم يتزوج، إلا جمع الله بينهما في الجنة. فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي، ولا أتزوج بعدك. قال: أتُطيعينني؟ قالت: نعم. قال: إذا مِتّ تزوّجي. اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يُحزنها ولا يُؤذيها. فلما مات، قلت: من خير من أبي سلمة؟ فما لبثت، وجاء رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقام علىٰ الباب فذكر الخطبة إلىٰ ابن أخيها، أو ابنها. فقالت: أردّ علىٰ رسول الله، أو أتقدم عليه بعيالي. ثم جاء الغد فخطب. ثم قالت لوليها: إن عاد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فزوّج. فعاد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فتزوّجها[1].

---

(١) ابن سعد: ٨/٨٨.

حدثنا عفان: حدثنا حماد: حدثنا ثابت: حدثني ابن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه: أن أم سلمة لما انقضت عدّتها، خطبها أبو بكر، فردّته، ثم خطبها عمر فردّته. فبعث إليها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. فقالت: مرحباً، أخبر رسول الله أني غَيْرىٰ، وأني مُصْبِيَة، وليس أحد من أوليائي شاهداً.

فبعث إليها: «أما قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك. وأما قولك: إني غيرىٰ، فسأدعو الله أن يُذْهِبَ غيرتك، وأما الأولياء، فليس أحد منهم إلا سيرضىٰ بي».

قلت: يا عمر، قُم فزوِّجْ رسول الله.

وقال رسول الله: «أما إني لا أُنْقِصُكِ مما أعطيتُ فلانة.... رحيين وجرَّتين ووسادةً من أُدْمٍ حشوها ليف».

وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يأتيها، فإذا جاءت أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، حيياً كريماً يستحي فيرجع، فعل ذلك مراراً ففطن عمّار بن ياسر، رضي الله عنه، لما تصنع، قال: فأقبل

ذات يومٍ وجاء عمار ـ وكان أخاً لأمها ـ فدخل عليها، فانتشطها من حجرها، وقال: دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيتِ بها رسول الله، فدخل، فجعل يُقلّب بصره في البيت يقول: «أين زُناب؟ ما فعلت زُناب؟». قالت: جاء عمار، فذهب بها. قال: فبنىٰ رسول الله بأهله، ثم قال: «إن شئت أن أسبع لك سبعت للنساء».

روىٰ عبد الله بن نُمير، فقال: حدّثنا أبو حيّان التَّيمي، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قالت أم سلمة: أتاني رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فكلّمني، وبيننا حجاب، فخطبني، فقلت: وما تُريد إليّ؟ ما أقول هذا إلا رغبةً لك عن نفسي، إني امرأة قد أدبر من سني، وإني أُمّ أيتامٍ، وأنا شديدة الغيرة، وأنت يا رسول الله تجمع النساء.

قال: «أما الغيرة، فيُذهبها الله. وأما السنّ، فأنا أكبر منك، وأما أيتامك، فعلىٰ الله وعلىٰ رسوله». فأَذِنْتُ، فتزوّجني.

قال أبو نُعيم: حدّثنا عبد الواحد بن أيمن: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث: أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، خطب أم سلمة،

فقالت: فيّ خصال ثلاث: كبيرة، ومُطْفِل، وغيور.

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخلت أيّم العرب علىٰ سيّد المرسلين أول العشاء عروساً، وقامت آخر الليل تطحن، يعني أم سلمة.

وتحدّثت أم سلمة، رضي الله عنها، عن مُصابها الجلل بزوجها الحبيب أبي سلمة، رضي الله عنه، وكانت تتذكّر دائماً البرّ والوفاء منه، وتقول: من خَيْرٌ من أبي سلمة، فقالت: (لما مات أبو سلمة، قلت: غريب في أرضٍ غريبةٍ، لأبكينّه بكاءً يُتحدّث به، وكنت قد تهيّأت للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة تريد أن تُسعدني، فاستقبلها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «أتريدين للشيطان بيتاً أخرجه الله منه مرتين»، فكففتُ عن البكاء فلم أبكه.

زواج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بأم سلمة، رضي الله عنها:

دخل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بأم سلمة، رضي الله عنها، في شهر شوال من السنة الرابعة للهجرة. فعاشت معه سبع سنواتٍ إذ انتقل عليه الصلاة والسلام إلىٰ الدار الآخرة في السنة الحادية

عشرة من الهجرة. وعاشت بعده إحدىٰ وخمسين سنةً إذ توفيت، رضي الله عنها، في السنة الثانية والستين من الهجرة في خلافة يزيد بن معاوية.

وفي الحديبية كانت أم سلمة مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فلما تمّ الصلح بين المسلمين ومشركي قريش لم يبق علىٰ المسلمين إلا الحِلّ والرجوع إلىٰ المدينة.

فلما فرغوا من كتاب الصلح، قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لأصحابه: «قوموا فانحروا هديكم ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتىٰ قال ذلك ثلاث مراتٍ، فلما لم يقم منهم أحد دخل علىٰ أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أم سلمة: يا نبيّ الله، أتحب ذلك؟ أُخرج لا تُكلّم أحداً منهم كلمةً حتىٰ تنحر بُدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك. فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتىٰ فعل ذلك: نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلق له، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق لبعضٍ حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً.

كانت أُمّ سلمة، رضي الله عنها، ذات علمٍ، وعقلٍ راجحٍ، وبلاغةٍ في الكلام، ومجاهرةٍ بالحق. كما أنها، رضي الله عنها، كانت تعيش مع المسلمين

في مشكلاتهم. فقد كتبت إلىٰ الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، عندما أخذ الغوغائيون بالكلام: (ما لي أرىٰ رعيتك عنك نافرين، ومن جناحك ناقرين، لا تقف طريقاً كان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يُحبّها، ولا تقدح بزندٍ كان عليه السلام أكباه، وتوخّ حيث توخّىٰ صاحباك، فإنهما ثكما[1] الأمر ثكماً، ولم يظلما. هذا حق أمومتي أقضيه إليك، وإن عليك حق الطاعة).

فقال عثمان، رضي الله عنه: أما بعد؛ فقد قُلتِ فَوَعَيْتُ، وأَوْصَيْتِ فَقَبِلْتُ.

وعندما قُتل عثمان، رضي الله عنه، حزنت لفقده واستشهاده علىٰ الطريقة التي وقعت، فدخل عليها رجل من بني تميم يسألها عنه. فقالت: (شكا الناس منه ظلامة فاستتابوه فتاب وأناب، حتىٰ إذا صيّروه كالثوب الأبيض من الدنس، عمدوا إليه فقتلوه).

وكتبت إلىٰ أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، عندما خرجت إلىٰ البصرة، وكانت معركة الجمل: (من أُمّ سلمة زوج النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ عائشة

---

(١) ثكم الأمر: أوضحه وبيّنه.

أم المؤمنين، فإني أحمد الله إليك الذي لا إلٰه إلا هو. أما بعد: فقد هتكتِ سدةً بين رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأُمته، حجاب مضروب علىٰ حرمته، فقد جمع القرآن ذَيْلك فلا تندحيه[1]، وأسكن الله من عقيراك فلا تُصحريها[2].

الله من وراء هذه الأمة.

لو علم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك.

أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة[3] في الدين، فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يُرأب بهنّ إن انصدع.

جهاد النساء غضّ الأطراف، وضمّ الذيول، وقصر المودة، ما كنت قائلةً لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصَّة[4] قعوداً من منهلٍ إلىٰ منهلٍ، وغداً تردين علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه

---

(١) تندحيه: توسّعيه.

(٢) تصحريها: تبرزيها إلىٰ الصحراء.

(٣) الفراطة: الإفراط وتجاوز الحدّ.

(٤) ناصّة: جادّة.

وسلم، وأُقسم لو قيل لي: يا أم سلمة، لاستحييت أن ألقىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، هاتكةً حجاباً ضربه عليّ، فاجعليه سترك، وقاعة البيت حصنك، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة، ما قعدتِ عن نصرتهم، ولو أني حدّثتك بحديثٍ سمعته من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لنهشت نهش[1] الرقشاء[2] المطرقة. والسلام).

واجتهدت أم سلمة، رضي الله عنها، يوم بويع معاوية، رضي الله عنه، بالخلافة، فرأت أن البيعة أفضل من عدمها. ويذكرون أن بسر بن أرطأة قدم المدينة في خلافة معاوية، ورفض أن يُبايع، فأتت أم سلمة، رضي الله عنها، إليه، وقالت له: بايع، فقد أمرت عبد الله بن زمعة ابن أخي أن يُبايع.

وبلغها مقتل الحسين بن علي، رضي الله عنهما، فوجمت لذلك، وغُشي عليها، وحزنت عليه حزناً كثيراً.

كانت أم سلمة، رضي الله عنها، من النساء الحِسان الموصوفة بالجمال.

عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير،

---

(١) نهش: عضّ.

(٢) الرقشاء المطرقة: الأفعىٰ السريعة.

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: لما تزوّج النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، أم سلمة، حزنت حزناً شديداً، لما ذكروا لنا من جمالها، فتلطَّفت حتىٰ رأيتها، فرأيتها والله أضعاف ما وُصفت لي في الحسن، فذكرت ذلك لحفصة ـ وكانتا يداً واحدةً ـ فقالت: لا والله، إنْ هذه إلا الغيرة، ما هي كما تقولين، وإنها لجميلة، فرأيتها بعد، فكانت كما قالت حفصة، ولكني كنت غيرىٰ[1].

تُعدّ أُمّ سلمة، رضي الله عنها، الزوجة الثانية في رواية الحديث بعد عائشة، رضي الله عنهم جميعاً، وقد روت أُمّ سلمة ٣٧٨ حديثاً. اتفق البخاري ومسلم علىٰ ثلاثة عشر منها. وانفرد البخاري بثلاثة. ومسلم بثلاثة عشرة.

ومما روت أُمّ سلمة، رضي الله عنها.

١" ـ «إذا دخلت العشر[2] فأراد رجل أن يُضحّي فلا يمسّ[3] من شعره ولا من بشره»[4].

٢" ـ سئلت عائشة وأُمّ سلمة، أيّ العمل كان

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) العشر الأوائل من شهر ذي الحجة.

(٣) يمسّ: ينزع أو يقصّ.

(٤) بشره: جلده ومنها الأظافر.

أعجب إلىٰ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، قالت: ما دام عليه وإن قلّ.

٣" ـ قالت: كان النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، يصبح وهو جُنُب ثم يصوم.

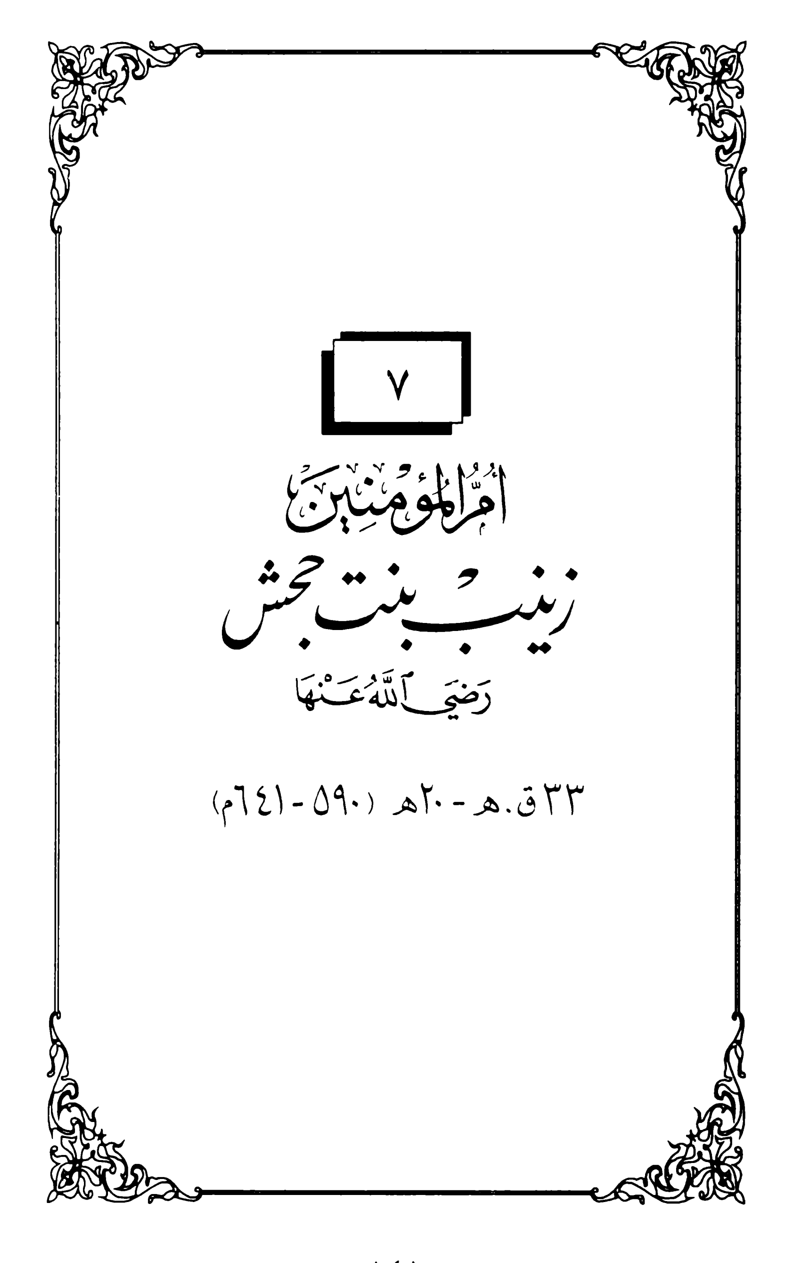
٤" ـ قالت: كان من آخر وصية رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم».

٥" ـ قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعضٍ، وإنما أنا بشر أقضي له علىٰ نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فإنما هو نار فلا يأخذه».

٦" ـ عن أم سلمة، عن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «خير مساجد النساء قعر بيوتهنّ».

٧" ـ عن أم سلمة، رضي الله عنها، أن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، كان إذا خرج من بيته قال: «باسم الله، توكلت علىٰ الله، اللهم إني أعوذ بك أن أَزلّ أو أُزلّ أو أَضلّ أو أُضلّ أو أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل عليّ».

٨" ـ قالت: كان أكثر دعائه، صلىٰ الله عليه وسلم: «اللّهم يا مقلّب القلوب والأبصار ثبِّت قلبي علىٰ دينك».



٧

أم المؤمنين

زينب بنت جحش

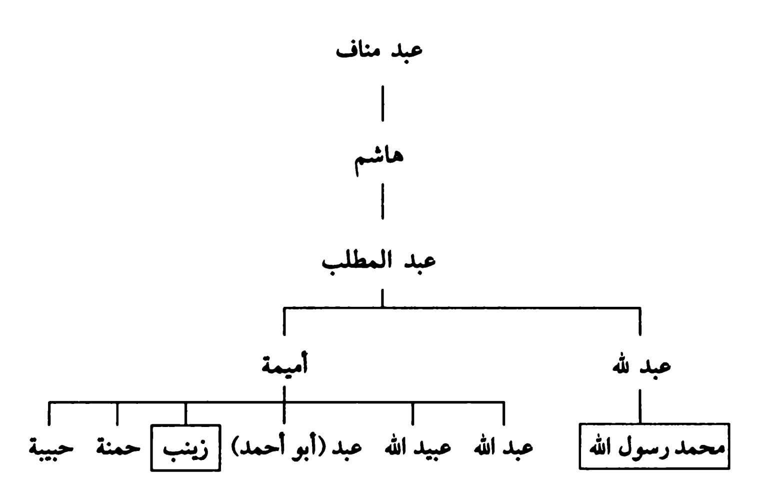
رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

٣٣ ق.هـ - ٢٠هـ (٥٩٠ - ٦٤١م)

زينبت بنت جحش بن رئاب بن يَعْمُر بن صبرة بن مُرّة بن كثير بن غُنْم بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر من بني أسد الذين منهم هذه الأسرة حلفاء بعض بطون قريش.

وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمّة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

وُلدت زينب في مكة سنة ثلاث وثلاثين قبل الهجرة فهي أصغر من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعشرين سنةً.



أسلمت زينب، رضي الله عنها، في بدء الدعوة، كما أسلم عدد من إخوتها، وهاجرت إلىٰ المدينة في وقتٍ قريبٍ من هجرة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

بدأت الأنظار تتجه إلىٰ زينب لخطبتها إذ هي معروفة الأصل، موصوفة بالجمال، حسنة القوام، فكانت، رضي الله عنها، تُرسل أختها حمنة تستشير رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فرأت أنه يرغب لابنة عمّته المسلمة رجل دين ومعرفة إذ قال: «أين هي ممن يُعلّمها كتاب ربها وسُنّة نبيها؟». فأحبّت أن تعرف من الذي يرغبه الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام، فسمّاه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أنه مولاه زيد بن حارثة، فظهر علىٰ حمنة الضيق وعدم الرضا، إذ قالت: يا رسول الله، أتزوج ابنة عمتك مولاك زيداً؟ وكذا كانت الاستشارة الأخرىٰ وأخبرت حمنة أختها زينب بذلك فأصابها الهمّ الغمّ، وإن أخفت ما في نفسها. وأخبر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، زيداً بذلك فسُرّ سروراً كثيراً، ولكن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «ولكن لا أراها تفعل، إنها أكرم من ذلك نفساً». إذ وضع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، حساباً لعدم رضاها، لأن زيداً مولى.

وزيد مولىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، هو: زيد بن حارثة بن شراحيل (شرحبيل) بن كعب بن عبد العزّىٰ بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان، وقد أُخذ عبداً وهو صغير، إذ كان مع أمه: سُعدىٰ بنت ثعلبة بن عامر بن أفلت بن سِلسِلة من بني معن من قبيلة (طيء). وكانت تزور قومها، ومعها ابنها زيد، ومرّت خيل لبني القَين كغارةٍ علىٰ بني معنٍ قوم سُعدىٰ (أم زيد)، فاحتملت الخيل زيداً، وهو يومئذٍ غلام يافع، وحملته إلىٰ سوق عكاظ، وعرضته للبيع، وصدف أن رأىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، زيد بن حارثة، وهو ذو ذؤابةٍ قد عرضه سادته للبيع بالبطحاء، فأسرع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ زوجته خديجة، رضي الله عنها، وأخبرها الخبر، فقالت: كم ثمنه؟ قال: سبعمائة درهمٍ. قالت: خذ سبعمائة درهمٍ واشتريه، فأخذ واشتراه، وجاء به إليها، فقال: أما إنه لو كان لي لأعتقته، قالت: فهو لك، فأعتقه.

كان زيد بن حارثة، رضي الله عنه، من أوائل الذين أسلموا، وأحسن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لزيدٍ، عطاءً، ومعاملةً حتىٰ قال له: «يا زيد، أنت مولاي ومني وإليّ، وأحبّ القوم إليّ». وقال له: «أنت أخونا ومولانا».

وبعد أن علم حارثة والد زيد بخبر ولده فسار مع أخيه عمّ زيد إلىٰ مكة ليأخذ ولده زيداً من سيده محمد، صلىٰ الله عليه وسلم، فلما رآه وطلبه، قال زيد لسيّده: ما أنا بالذي أختار عليك يا محمد أحداً، أنت مني بمكان الأب والأم، ويلتفت إلىٰ أبيه وعمه، ويقول: قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ذلك، قال: «يا مَنْ حضر اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني». فلما رأىٰ ذلك أبوه وعمه طابت نفسيهما وانصرفا، فدُعي زيد بن محمد، وبقي كذلك حتىٰ ألغىٰ الإسلام التبنيّ في السنة الخامسة من الهجرة، فقال تعالىٰ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾ [الأحزاب].

وبعد نزول هذه الآيات انتهت تسمية زيد بـ(زيد بن محمد)، ورجعت نسبته إلىٰ أبيه (زيد بن حارثة).

زواج زيد بن حارثة من زينب:

بعد أن تحدّث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لزيد بموضوع زواج زينب، وسُرّ سروراً بالغاً أخذ زيد يتابع الموضوع، وهو يعرف مكانة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، عند زينب بل عند الجميع، لذا يطلب منه أن يكلّمها بهذا الشأن، ويذكر لها مكانة زيدٍ في قلب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فأجابه: «إنها امرأة لَسْناء». وينتهي الموضوع.

ويذهب زيد بن حارثة إلىٰ علي بن أبي طالب، ويطلب منه أن يتكلّم بالموضوع، ويذهب عليّ وزيد إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ويطلبان منه متابعة الموضوع، فطلب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من عليٍّ أن يُمهّد للأمر فيُكلّم عبد الله بن جحش أخا زينب. ويجد عليّ، رضي الله عنه، صعوبةً في الموضوع بسبب الفروق بين طبقتيهما الاجتماعية، وهذا الأمر السائد والمتعارف عليه، وهذا ما يريد أن يُزيله رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لذا اتخذ أسلوب الحسم، فأرسل إلىٰ زينب وأسرتها قائلاً بعبارةٍ حاسمةٍ: «قد رضيته لكم، وأقضي أن تُنكحوه، فأنكحوه»[١].

---

(١) الطبقات: ٨/ ١٠١.

وقفت زينب، رضي الله عنها، حائرةً بين الموافقة علىٰ طلب وشفاعة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وهذا لا يمكن مخالفته وبين الاختلاف الاجتماعي بين طبقتيهما، ويبدو أن الأثر الاجتماعي كان أقوىٰ فتغلّب علىٰ النفس، فالتفتت إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وقالت: (أنا خير منه حسباً يا رسول الله، ولست بناكحته. لا أرضاه لنفسي وأنا أيّم قريش. أنا سيدة أبناء عبد شمس).

ويكرّر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قضاءه: «قد رضيته لك فانكحيه».

تطلب زينب من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، التريث والإمهال قائلة: يا رسول الله أؤامر نفسي.

ويتنزّل قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

ويخبر رسولُ الله، صلىٰ الله عليه وسلم، زينب بما أنزل الله فأذعنت للأمر، وأعلنت الطاعة والرضا.

وتسأل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قائلةً: قد رضيته لي يا رسول الله زوجاً؟ فأجابها: «نعم»، فقالت: إذن لا أعصي الله ورسوله، قد أنكحته نفسي.

وبذا تحقّقت المساواة الكاملة، وزالت الفوارق الطبقية المتعارف عليها في الجاهلية، وأصبحت المقاييس في الدين والتقوىٰ.

وقدّم زيد بن حارثة، رضي الله عنه، إلىٰ بني جحش عشرة دنانير وستين درهماً، ودرعاً، وخماراً، وملحفةً وإزاراً، وخمسين مُدّاً من الطعام، وعشرة أمدادٍ من التمر. وهذا من عطاء رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لزيد بن حارثة، رضي الله عنه. كما أولم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأطعم المساكين خبزاً ولحماً. وهذا دلالة علىٰ سرور رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بهذا الزواج.

وافقت زينب، رضي الله عنها، علىٰ الزواج من زيد بن حارثة، رضي الله عنه، طاعةً لله ورسوله بعد نزول الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب]. إضافةً إلىٰ أن زيداً، رضي الله عنه، كان يُنادىٰ بـ(زيد بن محمد)

وهذا ما يسرّها وتفخر به. وكان الزواج، وكانت العشرة الحسنة، والصلة الطيّبة، والنظرة الحسنة، فلما نزلت الآية الكريمة: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ. . .﴾ [الأحزاب: ٥]. وصار زيد يُدعىٰ زيد بن حارثة بعد أن كان يُدعىٰ زيد بن محمد تغيّرت الأمور، وهذا بعد مرور سنةٍ تقريباً من الزواج إذ بدأت العلاقة الزوجية تسوء، إذ صارت زينب تترفّع علىٰ زيدٍ بجمالها، ونسبها، وشخصيتها، وقد يصل الأمر إلىٰ الأذىٰ باللسان.

وضاق زيد، رضي الله عنه، ذرعاً بما حدث، وتألّم مما يجري، وما كان منه إلا أن ذهب إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وحدّثه بما يجري في بيت الزوجية، ورغبته في طلاقها، ولكن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أمره بالصبر وسعة الصدر، والأمر عارض لا يلبث أن يزول، ويقول له: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ. . .﴾.

واقتضت الحكمة الإلـٰهية أن تُلغىٰ مسألة التبنّي المتعارف عليها في الجاهلية، وهي أن يتخذ الرجل ابناً له من غيره، ويُعطيه من الحقوق ما يعطيه لابنه الشرعي، وتَحْرُمُ علىٰ الرجل المتبنّي زوجة الذي تبنّاه،

فـــأنـــزل الله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ. . .﴾ [الأحزاب].

وشعرت زينب، رضي الله عنها، أن مكانة زيد، رضي الله عنه، قد تغيّرت بعد إلغاء مسألة التبنّيّ فبقيت علىٰ ما هي عليه من الترفّع إن لم نقل زادت.

وأوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ رسوله أن زيداً سيُطلّق زوجته زينب، وأن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، سيتزوّجها بأمرٍ من الله، وذلك في سبيل ترك العادات الجاهلية. وأخبر زيد، رضي الله عنه، رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أنه يريد طلاقها، فأجابه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «اتق الله في قولك، وأمسك عليك زوجك». ورأىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، عزم زيدٍ، رضي الله عنه، علىٰ الطلاق. كما رأىٰ أنه، صلىٰ الله عليه وسلم، كان هو سبب هذا الزواج، فمن الواجب أن يُؤدي دوراً في سعادة زينب، رضي الله عنها، التي وافقته علىٰ الزواج بعد ممانعةٍ، ثم إن أمر الله قد جاء، ولا بدّ من الالتزام.

وخرج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يريد زيداً، وعلىٰ الباب سِتر من شعرٍ، فرفعت الريح الستر

فانكشف، وزينب في حجرتها حاسرة فرآها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأعجبه جمالها مع معرفة ذلك من قبل منذ صغرها.

وجاء زيد، رضي الله عنه، إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله، إني أُريد أن أُفارق صاحبتي، قال: «ما لك، أرابك منها شيء؟» قال: لا، والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً، فقال له رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

زواج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من زينب، رضي الله عنها:

لما أصرّ زيد، رضي الله عنه، علىٰ الطلاق، واستمرّت زينب، رضي الله عنها، في ترفّعها، ورأىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أنه كان هو سبب الزواج، وأن نفسه قد مالت إليها لجمالها وقرابتها منه، ومسؤوليته في زواجها، وفوق هذا كله أمرُ الله سبحانه وتعالىٰ بزواج رسوله محمد، صلىٰ الله عليه وسلم، بزينب، رضي الله عنها. ويُطلع زيد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ النفرة التي نشأت من تعاظمها عليه، فأذن له في طلاقها، فطلّقها زيد، ولم يبق له فيها حاجة.

ولما انقضت عدة زينب، رضي الله عنها، جرىٰ الحديث حول المرحلة الثانية وهي زواج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بزينب، وجرىٰ حديث بين رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وزيد، وطلب منه أن يوصل لزينب المقدّمة لذلك، فذهب إليها، وقال لها زيد: يا زينب، أبشري أرسلني رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يذكرك. فأجابت: ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتىٰ يأتي أمر ربي، ثم قامت إلىٰ مسجدها، ونزل قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وتزوّج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، زينب، رضي الله عنها، بنصّ كتاب الله دون وليٍّ ولا شاهدٍ، فدخل عليها من غير إذنٍ، فكانت، رضي الله عنها، تزهو بذلك أمام أمهات المؤمنين قائلة: (إن الله أنكحني رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من فوق سبع سماواتٍ، وزوّجكنّ أهلُكُنّ، وزوّجني الله من فوق عرشه).

وكان هذا الزواج المبارك في شهر ذي القعدة من السنة الرابعة للهجرة إثر غزوة بني المصطلق (المريسيع) وكان عمرها، رضي الله عنها، يوم زواج رسول الله،

صلىٰ الله عليه وسلم، بها سبعاً وثلاثين سنةً، إذ وُلدت هي في السنة الثالثة والثلاثين قبل الهجرة، وتزوّج بها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في شهر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة، وبذا يكون عمرها ٣٧ سنةً.

يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ(١) وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ(٢) أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ(٣) وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ(٤) مِّنْهَا وَطَرًا(٥) زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

صنع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وليمةً من خبزٍ ولحمٍ. وعن أنس، رضي الله عنه، قال: (ما أولم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ امرأةٍ من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم علىٰ زينب، أطعم خبزاً

---

(١) انعم الله عليه بالهداية.
(٢) أنعمت عليه بالعتق وترشيحه للزواج من زينب.
(٣) الرغبة بالزواج من زينب.
(٤) زيد: زيد بن حارثة.
(٥) الوطر: الحاجة والأرب إذا طلقوهن أزواجهن الذين يتبنّونهم.

ولحماً حتىٰ تركوه)[1].

ولما دخلت زينب، رضي الله عنها، علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قال لها: ما اسمك؟ قالت: برّة.. فسمّاها زينب.

وكانت زينب، رضي الله عنها، تُظهر أمام رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ما تُظهره الأنثىٰ أمام زوجها من دلالٍ وأُنوثة تجمُّلاً، وتحبُّباً، وإرضاءً، وتقول له: (إنّي لأدلّ عليك بثلاثٍ، ما من نسائك امرأة تَدِلُّ بهنَّ: إن جدّي وجدّك واحد (هو عبد المطلب. والد أبيه ووالد أمها)، وإني أنكحنيك الله من السماء، وكان جبريل السفير في أمري).

وتفاخرت عائشة وزينب، رضي الله عنهما، فقالت عائشة، رضي الله عنها: أنا الذي جاء بي المَلَك إلىٰ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك. فقالت زينب، رضي الله عنها: أنا زوّجني الله من فوق سبع سماواتٍ «تفسير القرطبي».

وأرادت أم سُليم (أم أنس بن مالك) أن تُشارك

---

(١) صحيح مسلم: ١٠٤٩/٢.

رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فرحته بزواجه من زينب، رضي الله عنها، فصنعت له طعاماً، وأرسلته إليه مع ابنها أنس، رضي الله عنه، وقالت: يا أنس، إن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أصبح اليوم عروساً، وما أرىٰ عنده من غداء، فهلمَّ تلك العكّة[1]، فناولها إياها، فعملت له حَيْساً من عجوةٍ في تَوْرٍ[2] من فخارٍ، قدر ما يكفيه وصاحبته، وقالت لأنس: اذهب به إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

يقول أنس، رضي الله عنه: فوضعته قرب الجدار، فقال لي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «ادعُ أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً»، وذكر أُناساً من أصحابه سمّاهم. فجعلت أعجب من كثرة من أمرني أن أدعوه مع قلّة الطعام، إذ هو طعام يسير، وكرهت أن أعصيه، فدعوتهم، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «انظر من في المسجد فادْعُه»، فجعلت آتي الرجل وهو يُصلّي أو نائم، فأقول: أجب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فإنه أصبح اليوم عروساً، حتىٰ

---

(١) العكّة: السمن.

(٢) التَّوْر: أحد الآنية.

امتلأ البيت، فقال لي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «هل بقي في المسجد أحد؟» قلت: لا. قال صلىٰ الله عليه وسلم: فانظر من كان في الطريق فادعهم. قال: فدعوت حتىٰ امتلأت الحجرة، فقال صلىٰ الله عليه وسلم: «هل بقي من أحد؟» قلت: لا يا رسول الله، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «هلمَّ التَّوْر، كلوا باسم الله»، فجعلت أنظر إلىٰ التمر يربو، أو إلىٰ السمن كأنه عيون تنبع، حتىٰ أكل كل من في البيت، ومن في الحجرة، وبقي في التوّر قدر ما جئتُ به فوضعته عند زوجته، ثم خرجت إلىٰ أُمي لأُعجّبها مما رأيت. قالت: لا تعجب لو شاء الله أن يأكل أهل المدينة كلهم لأكلوا[1].

وقال أنس، رضي الله عنه: ما أولم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ شيءٍ من نسائه ما أولم علىٰ زينب، أولم بشاةٍ.

وقد احتلّت زينب، رضي الله عنها، من قلب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، منزلةً عظيمةً، فكان يُحبّها حبّاً جمّاً، وتُقرّ عائشة، رضي الله عنها، بأن

---

(١) صحيح مسلم: ٢/١٠٥٢.

زينب، رضي الله عنها، كانت تُنافسها في هذه المنزلة.

روىٰ أنس، رضي الله عنه: كان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في بيت عائشة، فجاءت زينب فمدّ يده إليها، فقالت: هذه زينب، فكفّ النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، يده، فتقاولتا حتىٰ استخبتا[1]، وأُقيمت الصلاة فمرّ أبو بكر، رضي الله عنه، وهما علىٰ ذلك فسمع أصواتهما، فقال: اخرج يا رسول الله إلىٰ الصلاة، واحثُ في أفواههن التراب. فخرج النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، فقالت عائشة: الآن يقضي النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل. فلما قضىٰ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، صلاته أتاها أبو بكر، فقال لها قولاً شديداً، وقال: أتصنعين هذا؟

وبعد مدةٍ مرض رسول الله، في أواخر شهر صفر، وبقي مرضه ثلاثة عشر يوماً، وتوفي في ضُحىٰ يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة. وبذا تكون بقيت عنده زوجه زينب بنت جحش، رضي الله عنها: ستّ سنواتٍ وثلاثة أشهرٍ وأربعة عشر يوماً. ولم تُنجب له.

(١) استخبتا: ارتفعت أصواتهما واختلطت.

(من شهر ذي القعدة السنة الرابعة من الهجرة إلىٰ الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة)..

وأما زيد بن حارثة، رضي الله عنه، فقد بقيت عنده ما يقرب من سنةٍ، وقد شهد غزوة بدرٍ وأُحُدٍ، واستخلفه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ المدينة حين خرج إلىٰ غزوة بني المصطلق (المريسيع)، وشهد الخندق، والحديبية، وخيبر، وعقد له رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ الناس في غزوة مؤتة، وقدّمه علىٰ الأمراء، وذلك في السنة الثامنة فنال الشهادة، رضي الله عنه. وبلغ الخبر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «اللّهم اغفر لزيدٍ، اللهم اغفر لزيدٍ، اللّهم اغفر لزيدٍ، اللهم اغفر لجعفر وعبد الله بن رواحة».

وأما زينب، رضي الله عنها، فبقيت حتىٰ توفيت في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وبذا تكون قد عاشت تسع سنواتٍ بعد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. وكان لها من العمر ثلاث وخمسون سنةً (٣٣ق.هـ ـ ٢٠هـ). وكانت أول نساء النبيّ لحوقاً به. وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد أخبر

بذلك، وهذا من بعض معجزاته، صلىٰ الله عليه وسلم.

قالت بعض نساء رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، له: أيّنا أسرع بك لحوقاً، قال عليه الصلاة والسلام: «أطولكن يداً»، فأخذن قصبةً يذرعنها. قالت عائشة، رضي الله عنها: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، نمدّ أيدينا علىٰ الجدار نتطاول، فكانت سودة، رضي الله عنها، أطولهن يداً، فلما ماتت زينب، رضي الله عنها، وكانت امرأةً قصيرةً، علمن أن المراد بطول اليد الصدقة، لأنها كانت تعمل وتتصدّق.

وحين حضرتها الوفاة قالت، رضي الله عنها: إني أعددت كفني، فإن بعث لي الخليفة عمر بكفن فتصدّقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذا دليتموني أن تتصدّقوا بحقوتي (بإزاري) فافعلوا.

ولما ماتت أمر الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ألا يخرج معها إلا ذو محرمٍ، فقالت له أسماء بنت عُميس، رضي الله عنها: ألا أُريك شيئاً، رأيت الحبشة تصنعه بنسائهم؟ فجعلت نعشاً وغشّته ثوباً، فقال الخليفة، رضي الله عنه: ما أحسن هذا

وأستره، نِعم خباء الظعينة، فأمر منَادياً يُنادي بالناس: أن اخرجوا علىٰ أُمّكم. فقيل: إن زينب بنت جحش أول امرأةٍ جعل لها النعش.

ولم تترك زينب، رضي الله عنها، درهماً ولا ديناراً من متاع الدنيا، وأما منزلها قد بيع للوليد بن عبد الملك حين قررّ توسعة الحرم النبوي، وكان ثمن المنزل خمسين ألف درهم.

وبعد أن علم الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بوفاتها أرسل لها خمسة أثواب من خزينة بيت مال المسلمين، ثم بخّرها، فكُفّنت فيها، وتصدّقت أختها حمنة عنها بكفنها الذي أعدّته لتُكفّن فيه. ودُفنت بالبقيع، وصلّىٰ عليها عمر، رضي الله عنه.

وقد تأثّر لوفاتها أخوها عبد أبو أحمد، وهو ضرير، تأثّراً شديداً، وبكىٰ بكاءً مريراً، كما كانت عائشة، رضي الله عنها، شديدة التأثُّر، وبكت عليها، وترحمّت، وذكرت صلاحها.

وسُئلت عائشة، رضي الله عنها، أيّ نساء رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كانت آثر عنده؟ فقالت: لقد كانت لزينب وأم سلمة مكانة عنده،

وكانت زينب أحبّ نسائه إليه ـ فيما أحسب ـ بعدي.

وقالت عائشة، رضي الله عنها: يرحم الله زينب، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوّجها، ونطق به القرآن، وهي زوجة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في الجنّة.

روي عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: كانت زينب بنت جحش تُساميني في المنزلة عند رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وما رأيت امرأةً خيراً من زينب في الدين، كانت أتقىٰ لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقةً، رضي الله عنها[1].

أطعم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، زينب بنت جحش بخيبر مائة وسقٍ من التمر.

عصم الله زينب، رضي الله عنها، بحادثة الإفك، فلم تقع فيها لورعها، علىٰ حين وقعت أختها حمنة بنت جحش، فنالت من عائشة، رضي الله عنهنّ جميعاً.

---

(١) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٨٤.

وروت زينب، رضي الله عنها، تسعة أحاديث، منها:

١" ـ قالت زينب، رضي الله عنها: سمعت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: «لولا أن أشقّ علىٰ أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاةٍ»[١].

٢" ـ قالت زينب، رضي الله عنها: دخل عليّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وهو عاقد بإصبعيه السبابة بالإبهام، وهو يقول: «ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل موضع الدرهم». قالت: فقلت: يا رسول الله، أَنَهْلَكُ وفينا الصالحون؟ قل: «نعم، إذا كثُر الخبث»[٢].

٣" ـ قالت زينب، رضي الله عنها: إني سمعت رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ المنبر يقول: «لا يحلّ لامرأةٍ تُؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ علىٰ ميتٍ فوق ثلاث ليالٍ إلا علىٰ زوجٍ أربعة أشهرٍ وعشراً»[٣].

---

(١) صحيح مسلم: ٢٤٢٢ في فضائل الصحابة.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٤٢٨.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٣٢٤.

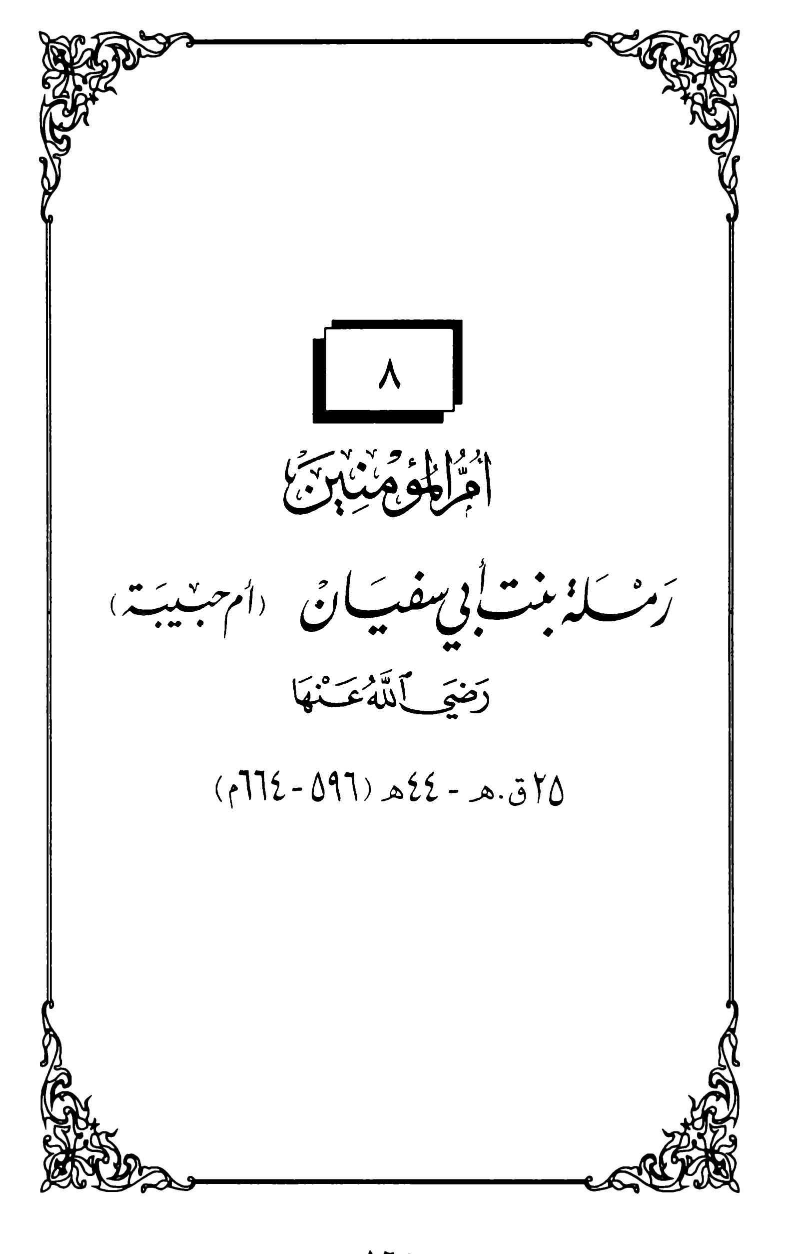
٤" ـ دخل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: «ما هذا؟» قالوا: لزينب تُصلّي، فإذا كَسِلت أو فَتَرت أمسكت به، فقال: «حُلُّوه، ليُصَلِّ أحدكم نشاطه فإذا كسِل أو فَتَر قعد»[1].

٥" ـ روت عائشة، رضي الله عنها، في حق زينب، رضي الله عنها: وهي التي كانت تُساميني منهن في المنزلة عند رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ولم أر امرأةً خيراً في الدين من زينب، وأتقىٰ لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقةً، وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدّق به وتتقرّب به إلىٰ الله تعالىٰ، ما عدا سَوْرَةً من حَدٍّ كانت فيها، تُسرع منها الفيئة[2].

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ٥٤٢.

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٩٢.



٨

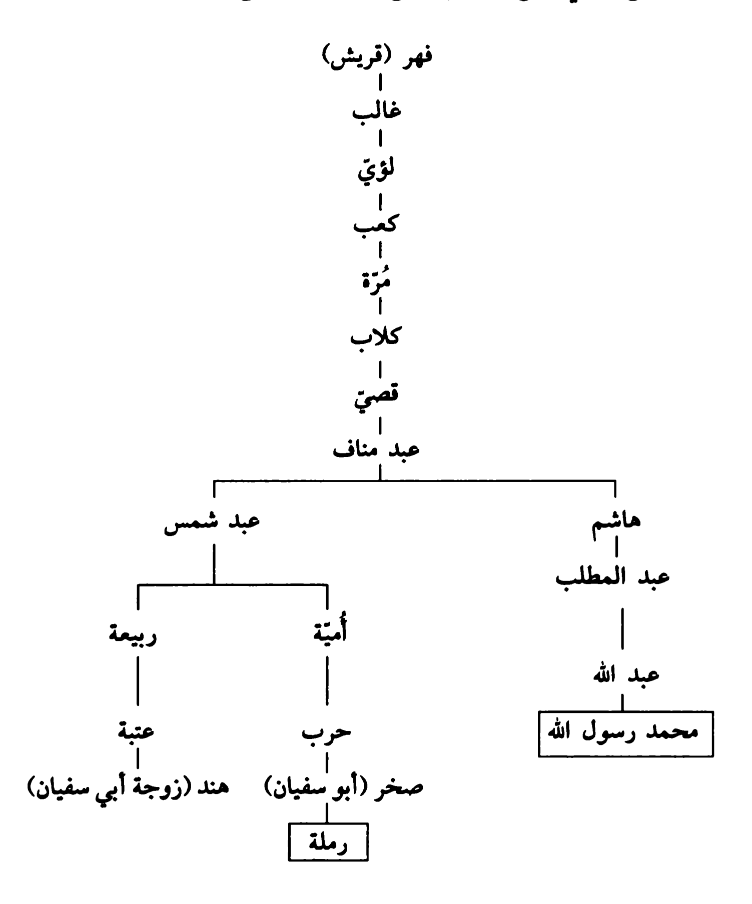
أم المؤمنين

رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة)

رضي الله عنها

٢٥ق.هـ - ٤٤هـ (٥٩٦ - ٦٦٤م)

رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش).



وُلدت رملة، رضي الله عنها، في مكة سنة خمسٍ وعشرين قبل الهجرة، فهي أصغر سنّاً من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بثمانٍ وعشرين سنةً.

وتزوّج بـ(رملة) عبيد الله بن جحش، وهو ابن عمّة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أُميمة بنت عبد المطلب.

وبُعث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأخذ يُبلّغ الرسالة، ويُؤدّي الأمانة، وبدأ أصحاب الوعي والعقل يدخلون في دين لله، وكان ممن دخل بالإسلام أبناء عمّة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أميمة بنت عبد المطلب وهم: عبد الله بن جحش، وإخوته: عبيد الله، وعبد (أبو أحمد)، وزينب، وحمنة، كما دخلت كذلك زوجة عبيد الله وهي: رملة بنت أبي سفيان.

وصلت الأخبار إلىٰ أبي سفيان أن ابنته (رملة) زوجة عبيد الله بن جحش تبعت زوجها، واعتنقت الإسلام، فذهب إليها كي يثنيها عن عزمها، ويُبعدها عن الإسلام، ولكن رملة، رضي الله عنها، أجابته بهدوءٍ وإيمانٍ: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ولم تَزِد كلمةً علىٰ ذلك. وحاول

أبو سفيان أن يُذكّرها بمكانة أُسرتها، ويرفعها علىٰ بني هاشمٍ، ولكن لم يستفد من ذلك شيئاً فالإيمان راسخ في القلب ثابت في النفس.

ووقف مشركو قريشٍ في وجه الدعوة إلىٰ الإسلام، واتخذوا أساليب الضغط كلها من اضطهادٍ، وأذىً، وقتلٍ، فاضطر فريق من المسلمين إلىٰ الهجرة إلىٰ الحبشة، وكانت هجرتهم علىٰ مرحلتين، وكان ممن هاجر في المرة الثانية عبيد الله بن جحش ومعه زوجته رملة بنت أبي سفيان، وكذلك إخوته.

ويوم هاجرت رملة مع زوجها كانت حاملاً، وما أن استقرّوا في الحبشة حتىٰ وضعت حملها، وكانت أُنثىٰ فسمّتها (حبيبة) فكُنّيت بها، واشتهرت بكنيتها (أم حبيبة).

أخذ عبيد الله بن جحش زوج رملة بنت أبي سفيان يتردّد علىٰ الرهبان والقساوسة ويُطيل الجلوس عندهم فمالت نفسه إلىٰ بعض ما يدّعون. ولكن رملة، رضي الله عنها، بقيت محافظةً علىٰ عقيدتها، ثابتةً علىٰ إيمانها. وقد رأت في منامها في أحد الأيام أن شكل زوجها مشوه وعلىٰ صورةٍ بشعةٍ، وهي تروي حلمها فتقول: رأيت في النوم كأن عبيد الله بن حجش زوجي

بأسوإ صورةٍ وأكثرها تشويهاً، ففزعتُ وقلت: تغيّرت والله حاله فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة، إني نظرت في الدين، فلم أرَ ديناً خيراً من النصرانية، وكنتُ قد دِنْتُ بها، ثم دخلت في دين محمدٍ، ثم قد رجعت إلىٰ النصرانية، فقلت: والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأيتها له، فلم يحفل بها[١].

وهكذا ارتدّ عبيد الله بن جحش عن الإسلام، واعتنق النصرانية، وحاول أن يردّ أم حبيبة عن الإسلام، ورغّبها فيما أضحىٰ يدين به، ولكن محاولاته كلها باءت بالفشل، وأبت أم حبيبة أن تجيبه إلىٰ ما يريد، وصبرت صبر المؤمنين.

ولم تقبل أم حبيبة، رضي الله عنها، أن تبقىٰ مع إنسانٍ كافرٍ، أو تُجالسه، أو تُحادثه، فكان لا بدّ من الفراق والانفصال عن هذا الزوج الذي ارتدّ عن دينه. واعتكفت أم حبيبة، رضي الله عنها، في منزلها لا تستقبل أحداً، ولا تقوم بزيارة أحدٍ، إذ هي لا تستطيع الرجوع إلىٰ مكة إذ لا يزال أبوها (أبو سفيان) أحد رؤوس الكفر، حيث لا يتركها لو رجعت حتىٰ ترتدّ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، تراجم النساء.

عن الإسلام، ومن الصعب أن ترتحل إلىٰ المدينة فتعيش عالةً علىٰ أخت زوجها وهي أم المؤمنين زينب بنت جحش، رضي الله عنها، فتوكلت علىٰ الله، وسلّمت أمرها له، وبقيت في الحبشة.

أما زوجها السابق عبيد الله بن جحش، فبقي بعيداً يعيش علىٰ معاقرة الخمر، متمسّكاً بنصرانيته التي مات عليها في الحبشة بعد مدةٍ قصيرةٍ.

وصلت أخبار رملة (أم حبيبة) رضي الله عنها، إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وعرف ارتداد زوجها وموته علىٰ النصرانية، وثبات رملة علىٰ دينها، وحياتها مع ابنتها الصغيرة حبيبة، غريبةً عن ديارها، بعيدةً عن أهلها، لذا لا بد من إكرامها، ورأىٰ عليه الصلاة والسلام أن أفضل إكرامٍ لها الزواج منها لرعايتها ورفع مكانتها تقديراً لصدقها وإيمانها.

وكانت أم حبيبة، رضي الله عنها، تنتظر انتهاء عدّتها عسىٰ أن يأتي الله بالفرج من عنده. وسمعت ذات يومٍ في منامها صوتاً يُناديها: يا أم حبيبة، يا أم المؤمنين، فنهضت خائفةً ولكن سرعان ما عاد إليها الصحو، وفسّرت أنها ستكون زوجةً لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فحمدت الله، وسبّحته، وتوكّلت

عليه. ولم يبق لانتهاء عدّتها إلا بضعة أيامٍ.

دعا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في المدينة عمرو بن أُمَيّة الضمريّ[1] إليه، وطلب منه أن يسير إلىٰ الحبشة، ويقابل ملكها النجاشيّ، ويطلب منه أن يُزوّجه أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان. فانطلق، ولما وصل إلىٰ هناك اتجه إلىٰ النجاشي، وطلب منه ما أمره به رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. فوافق النجاشي، وبعث جاريته (أبرهة) إلىٰ أم حبيبة.

كانت أم حبيبة (رملة) تجلس وحدها، وبينما هي تُفكّر في وحدتها إذ بالباب يُقرع، وإذ برسول النجاشي جاريته (أبرهة) تدخل عليها، وتقول لها: إن الملك النجاشي يقول لك: إن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كتب إليه أن يزوّجك له.

---

(١) عمرو بن أُميّة الضمريّ: عمرو بن أُميّة بن خويلد بن عبد الله الضمريّ: صحابي شجاع، اشتهر في الجاهلية، وشهد مع المشركين بدراً وأُحُداً، ثم أسلم، وحضر بئر معونة، فأسرته بنو عامر، وأطلقه عامر بن الطفيل، وعاش أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرةً علت بها شهرته في البسالة، وتوفي في المدينة سنة ٥٥هـ، في خلافة معاوية. وقد روىٰ عشرين حديثاً.

شعرت أم حبيبة بالغبطة والسرور، وأحسّت بالفرح والسعادة، وأجابت: بشّركِ الله بخير.

قالت الجارية (أبرهة): يقول لك الملك: وكّلي من يُزوّجكِ. فأرسلت أم حبيبة إلىٰ أحد أقاربها وهو خالد بن سعيد بن العاص الأموي[1]، رضي الله عنه، فوكّلته.

ثم أعطت رملة لجارية النجاشي سِوارين من فضةٍ، وخلخالين وخواتم من فضةٍ أيضاً كانت في أصابعها بما بشّرتها.

وفي مساء ذلك اليوم الذي كانت فيه تلك البشرىٰ، أمر النجاشي[2] من كان في الحبشة من المسلمين أن

---

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ: أحد السابقين إلىٰ الإسلام، وهاجر إلىٰ أرض الحبشة، وأقام بها بضع عشرة سنة، واستعمله رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ صنعاء، وأمّره أبو بكر علىٰ بعض الجيش في غزو الشام. وقد هاجر مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة إلىٰ المدينة زمن خيبر في شهر صفر من السنة السابعة للهجرة. واستشهد سنة ١٤هـ في الشام أثناء قتال الروم.

(٢) النجاشي: اسمه أصحمة أسلم، وحسُن إسلامه، توفي في حياة النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، فصلىٰ عليه بالناس صلاة الغائب، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارىٰ، ولم يكن عنده من يصلي عليه، لأن الصحابة الذين هاجروا إلىٰ الحبشة كانوا قد خرجوا منها.

يحضروا ومنهم جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، فحضروا، فوقف النجاشي قائماً، وقال: الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن العزيز الجبّار، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشّر به عيسىٰ بن مريم، أما بعد:

فإن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، كتب إليّ أن أزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلىٰ ما دعا إليه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وقد أصدقتها أربعمائة دينار.

ثم قام وكيل أم حبيبة خالد بن سعيد بن العاص، رضي الله عنه، فقال: الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره الكافرون. أما بعد: فقد أجبت إلىٰ ما دعا إليه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وزوّجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله، صلىٰ الله عليه وسلم، وبارك الله لها.

ودفع النجاشي الدنانير إلىٰ خالد بن سعيد بن العاص فقبضها، ثم أراد المسلمون أن ينصرفوا، فقال لهم النجاشي: اجلسوا فإن سُنّة الأنبياء ـ عليهم

السلام ـ إذا تزوّجوا أن يؤكل طعام علىٰ الزواج، فدعا بطعامٍ فأكلوا ثم تفرّقوا.

وأسلمت الجارية (أبرهة) وتروي أم حبيبة رملة، رضي الله عنها، خبر هذه الجارية، فتقول: لما وصل إليّ المال وهو مهري من النجاشي، أرسلتُ إلىٰ الجارية أبرهة التي بشّرتني، فأتت، فقلت لها: يا أبرهة، إني كنت قد أعطيتك ما أعطيتك بالأمس، ولا مال بيدي، فهذه الخمسون مثقالاً، فخذيها فاستعيني واستغني بها، ولكن الجارية أبت ذلك، وأخرجت حُقّاً[1] فيه كل ما كنت أعطيتها، فردّته عليّ، وقالت: عزم عليّ الملك ألا أزرأك شيئاً، وأنا التي أقوم علىٰ ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمدٍ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأسلمت لله عزّ وجلّ، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر. قالت أم حبيبة: فلما كان من الغد، جاءتني بعودٍ[2]، وورْسٍ[3]، وعنبرٍ، فَقَدِمْتُ بذلك كله علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فكان يراه عليّ فلا يُنكره. قالت الجارية أبرهة: يا أم حبيبة، إن حاجتي

(١) الحُقُّ: وعاء يوضع فيه الطيب أو الحلي.
(٢) العود: نوع من الطيب.
(٣) الورس: نبات أصفر يُتخذ من الزعفران.

إليك أن تُقرئي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، مني السلام، وتُعلميه أني قد اتبعت دينه.

قالت أم حبيبة: ثم لطفت الجارية أبرهة بي، وكانت هي التي جهّزتني، وكانت كلما دخلت عليّ تقول: يا أم حبيبة، لا تنسي حاجتي إليك.

فلما قدِمتُ علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلتْ بي أبرهة، فتبسّم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأقرأته منها السلام، فقال صلىٰ الله عليه وسلم: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته».

ولما بلغ أبا سفيان خبرُ زواج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، قال أبو سفيان: ذلك الفحل لا يُقرع أنفه.

عادت أم حبيبة مهاجرةً إلىٰ المدينة سنة سبعٍ من الهجرة مع ركب المهاجرين، وفيهم جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، ومن معه، وقد سُرّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بقدوم الغائبين.

جاء أبو سفيان إلىٰ المدينة ليؤكّد عقد صلح الحديبية، ويزيد مدة الهدنة بين الفريقين، فلما وصل أبو سفيان إلىٰ المدينة دخل علىٰ ابنته أُمّ المؤمنين رملة

(أم حبيبة)، رضي الله عنها، فذهب ليجلس علىٰ فراش رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فطوته عنه، فقال لها: يا بُنيّة، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟. قالت: بل هو فراش رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأنت مشرك نجس.

قال: والله لقد أصابك بعدي شرّ.

قالت: هداني الله للإسلام، وأنت يا أبتِ سيّد قريشٍ وكبيرها، كيف يسقط عنك دخول في الإسلام، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يُبصر؟.

قال: يا عجباه! وهذا منك أيضاً؟ أأترك ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمدٍ؟ ثم قام من عندها، ورجع إلىٰ قريشٍ يجرّ ذيول الخيبة.

واستعدّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وتجهّز، وتجهّز المسلمون لفتح مكة وساروا إليها، والتقىٰ العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان، فأخذه إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فأعلن إسلامه أمام رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ووصل الخبر إلىٰ رملة (أم حبيبة) بنت أبي سفيان، رضي الله عنها، بإسلام أبيها فسُرّت سروراً بالغاً.

وتابع المسلمون بقيادة رسولهم الكريم السير إلىٰ مكة فدخلوها فاتحين، وأسلمت قريش، وعفا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، عما سبق منهم، وكُسرت شوكة الشرك.

وأخذت أم حبيبة، رضي الله عنها، تحفظ الآيات من كتاب الله، وأحاديث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. وقد روت ٦٥ حديثاً، فهي رابع أمهات المؤمنين بالرواية بعد عائشة، وأم سلمة هند، وميمونة، رضي عنهنّ جميعاً، وممن روىٰ عنها:

١" ـ أخوها الخليفة معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما.

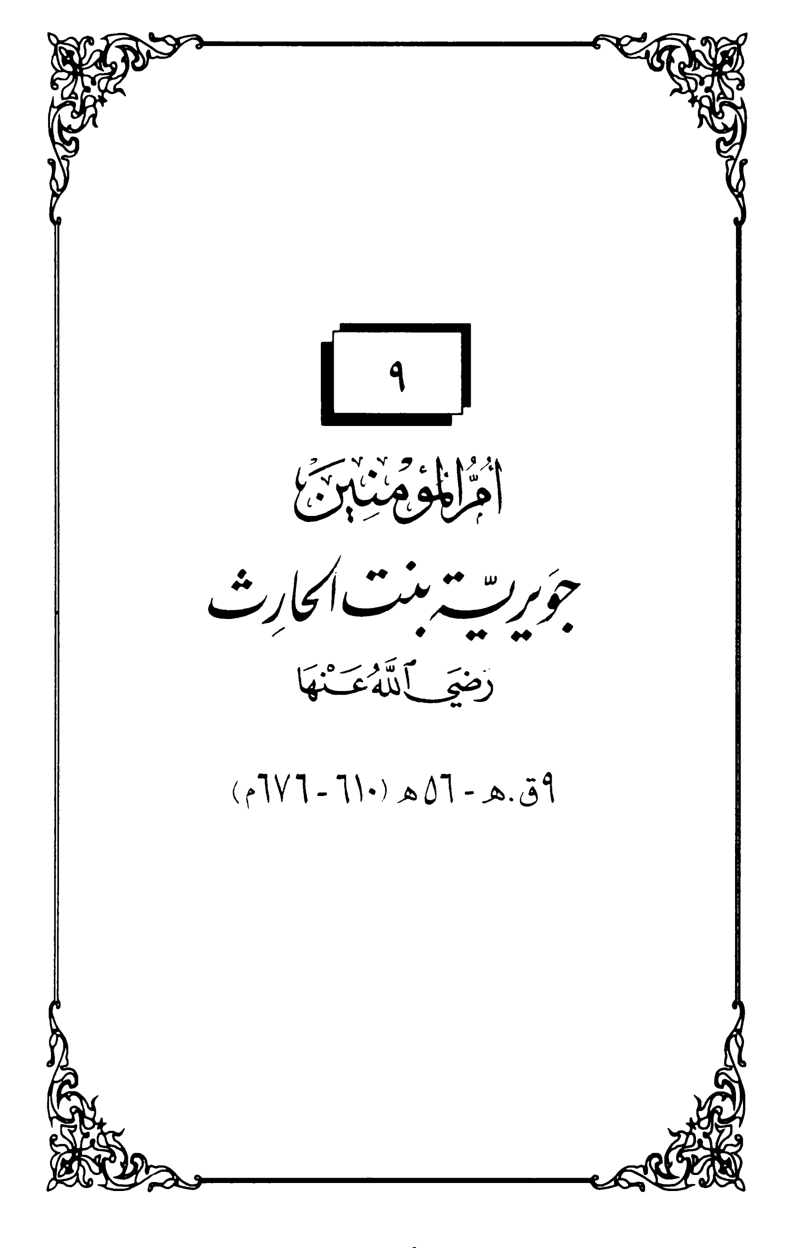
٢" ـ أخوها عنبسة بن أبي سيفان.

٣" ـ ابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان.

٤" ـ ابن أختها أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة.

٥" ـ عروة بن الزبير، رضي الله عنهما.

وكانت، رضي الله عنها، من العابدات الورعات. وأدركت خلافة أخيها معاوية، رضي الله عنه، وماتت في المدينة سنة ٤٤هـ، وبذا تكون قد عاشت تسعاً وستين سنةً.



٩

أُمُّ المُؤْمِنِين

جُوَيْرِيَّة بنت الحارِث

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

٩ ق.هـ - ٥٦هـ (٦١٠ - ٦٧٦م)

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد بني المصطلق، وبنو المصطلق فرع من قبيلة خُزاعة، وموطنهم بين مكة والمدينة حتىٰ ساحل البحر الأحمر بين مدينتي رابغ وجُدّة، وقُديد إحدىٰ مدنهم.

وُلدت جويرية في السنة التاسعة قبل الهجرة (٦١٠م) فهي أصغر سنّاً من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بأربعٍ وأربعين سنةً.

تزوّجت جويرية في سنٍّ مبكرةٍ من عمرها، وهي في منتصف العقد الثاني من عمرها، وكان زواجها من مسافع بن صفوان أحد فتيان خُزاعة.

وكان موقع ديار بني المصطلق قرب الساحل مجالاً لمرور التجار في ذهابهم إلىٰ الشام وأثناء عودتهم، وكانت الرحلة إلىٰ الشام في الصيف للتجارة أمر معروف، وفي الوقت نفسه كانت ديارهم طريقاً لانتقال القبائل وترحالهم، وهذا ما أعطىٰ بني المصطلق صلةً مع بقية القبائل ورجال الارتحال، ومكانةً بين سادة القبائل.

انتشر الإسلام، وسطع نوره، وانتصر أبناؤه علىٰ أعدائهم الذين يقفون في وجه الدعوة نصراً مُؤزّراً مع قلّة عددهم، ولكن بني المصطلق في غفلةٍ عن طلب الحق، والسير في النور، واتّباع الخير، والنظر لما بعد الحياة في الدنيا، والتفكير في هذه القبائل التي يدحرها المسلمون فتتساقط أمامهم مع قوتها وكثرة عددها، وكانت غفلة بني المصطلق لانشغالهم بأهمية موقع ديارهم، وكثرة عددهم، واعتمادهم علىٰ دعم خُزاعة لهم ما داموا بطناً منها. ولما رأوا انتصار المسلمين علىٰ عدوّهم، وانتشار دعوتهم، وتوسعة ديارهم لذا أصابهم شيء من الخوف فأخذوا بالاستعدد وحشد الجموع للهجوم علىٰ المسلمين في المدينة المنورة والفتك بهم، وضمّ ديارهم، وأخذ أملاكهم، وسلب أموالهم، والتعالي علىٰ الآخرين الذين لم يستطيعوا الوقوف أمام المسلمين.

وصلت أخبار استعداد بني المصطلق للهجوم علىٰ المسلمين إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فأرسل إليهم بُريدة بن الحُصَيْب[1] يستوضح الأمور، فإذا به حق

---

(١) بُريدة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي: =

فأسرع إليهم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

أرسل سيّد بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار عيونه يستطلعون له الطريق قبل سيره، ويُخبرونه عن تحرّكات المسلمين، فالتقىٰ المسلمون بأحد هؤلاء العيون، فسيق إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فعرض عليه الإسلام فأبىٰ، ولما كان رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يريد مفاجأة القوم لذا فقد أمر بإعدام هذا الجاسوس، فضرب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عنقه.

علم بنو المصطلق بما حدث فأصابهم ذعر شديد الأمر الذي جعل أعداداً منهم تتفرّق عن تجمّعهم. وفاجأهم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وهم علىٰ ماء (المريسيع)[1] فدعاهم إلىٰ الإسلام فأبوا، فحمل عليهم المسلمون، وأحاطوا بهم من كل جهةٍ، فلم

= صحابي، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر، وفتح مكة، واستعمله النبيُّ، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ صدقات قومه، وسكن المدينة، وانتقل إلىٰ البصرة، ومات في مدينة مرو. روىٰ ١٦٧ حديثاً.

(١) المريسيع: اسم ماء لبني المصطلق من ناحية (قديد) مما يلي الساحل في الطريق من مكة إلىٰ المدينة.

يفلت منهم رجل واحد، وقُتل منهم عشرة أفرادٍ، منهم (مسافع بن صفوان) زوج جويرية بنت الحارث سيّد بني المصطلق، ثم استسلموا جميعاً، وغنم المسلمون ديارهم وأملاكهم، وسبوا نساءهم، وزادت الغنائم علىٰ ألفي رأسٍ من الإبل، وخمسة آلافٍ من الأغنام، وبلغ عدد السبايا سبعمائة فتاة بينهم (جويرية بنت الحارث)، وقد أُطلق سراح بعض الأسرىٰ والسبايا، وافتدي بعضهم، ولم يُقتل أحد من الأسرىٰ. وكانت المعركة في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة.

وبعد انتهاء المعركة رجع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ومن معه إلىٰ المدينة منتصرين، وسيق الأسرىٰ والسبايا والغنائم بين يديه.

وقُسّمت الغنائم، ووُزّعت الأسرىٰ والسبايا بين المجاهدين، وكانت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس(١)، رضي الله عنه، وقد كاتبته علىٰ تسع

---

(١) ثابت بن قيس بن شمّاس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وشهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد. وجاء في الحديث الشريف: «نِعْم الرجل ثابت». استشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، سنة ١٢هـ.

أواقٍ من الذهب فداء نفسها، غير أنها لا تستطيع السداد، فذهبت إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وحكت له وضعها، فقالت: يا رسول الله، إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأنك رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيّد قومه، وكان من أمري ما لا يخفىٰ عليك.

وفي روايةٍ أنه قالت: قد أصابني من البلاء ما لا يخفىٰ عليك، ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبني علىٰ ما لا طاقة لي به، وليس لي يدان، ولا قدرة عليه، وهو تسع أواقٍ من الذهب، وما أكرهني علىٰ ذلك، غير أني أرجوك صلىٰ الله عليك. وجئتك أسألك في مكاتبتي.

فقال لها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعدما سألته مكاتبتها: «هل لك في خيرٍ من ذلك؟».

قالت: وما هو يا رسول الله؟.

قال: «أؤدّي عنك كتابتك وأتزوجك».

قالت: نعم، يا رسول الله، قد فعلت.

وقد جاء أبوها ليفتديها من الأسر بما عنده من إبلٍ، وقد ترك جملاً من الفدية استحسنه لنفسه دون

أن يعلم به أحد، فعندما أخبره رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بما فعل أسلم.

وبعد أن كاتبت جويرية، رضي الله عنها، رسول الله أعتقها، ثم زوّجه إياها أبوها علىٰ مهرٍ قدره أربعمائة درهمٍ، وعتق كل مملوكٍ من بني المصطلق.

وأسلم بنو المصطلق جميعاً.

وأطلق المسلمون أسراهم وسباياهم من بني المصطلق، وقالوا: أصهار رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. وكأن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، رغب ذلك اختباراً لإيمانهم، وحبّهم لرسولهم، وبذلهم في سبيل الله.

وكان اسم جويرية (برّة) فغيّره رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وسمّاها (جويرية)، إذ كره أن يُقال: (خرج من عند برّة).

وجاء لها سبعة أحاديث. منها حديث عند البخاري. وحديثان عند مسلم.

روىٰ البيهقي ـ رحمه الله ـ عن أم المؤمنين جويرية، رضي الله عنها، قالت: رأيت قبل قدوم النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، بثلاث ليالٍ، كأن القمر يسير

من يثرب حتىٰ وقع في حجري، فكرهت أن أُخبر أحداً، فلما سُبينا، رجوت الرؤيا، فأعتقني وتزوَّجني[1].

أخرج البخاري في «صحيحه» بسنده عن قتادة، عن أبي أيوب، عن جويرية بنت الحارث، رضي الله عنها، أن النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال:

«أصمت أمس؟».

قالت: لا.

قال: «أترين أن تصومي غداً؟».

قالت: لا.

قال: «فأفطري»[2].

لقد كان من هديه، صلىٰ الله عليه وسلم، كراهية إفراد يوم الجمعة بالصوم.

وثبت أنه، صلىٰ الله عليه وسلم، شرب يوم الجمعة، وهو علىٰ المنبر، يُريهم أنه لا يصوم يوم

---

(١) السمط الثمين: ص١٣٦.

(٢) فتح الباري: رقم ١٩٨٦.

الجمعة فقط. وعلّل المنع من صومه إفراداً بأنه يوم عيد. فقد روىٰ الإمام أحمد من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده»[1].

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، عن جويرية بنت الحارث، رضي الله عنها: أن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، مرّ عليها، وهي في موضع صلاتها في البيت أول النهار، ثم مرّ عليها قريباً من نصف النهار، فقال لها: «ما زِلْتِ علىٰ حالكِ؟».

قالت: نعم.

قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «ألا أُعلّمك كلماتٍ تقوليهنّ؟.

سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مراتٍ، سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مراتٍ، سبحان الله زِنة عرشه، ثلاث مراتٍ، سبحان الله مِداد كلماته، ثلاث مراتٍ»[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٢/ ٣٠٣.

(٢) أخرجه الترمذي.

وروىٰ مسلم في «صحيحه»، وأبو داود في «سننه» عن جويرية، رضي الله عنها، قالت: أتىٰ عليّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «لقد قلت بعدك أربع كلماتٍ ثلاث مراتٍ لو وُزِنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن[1]: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»[2].

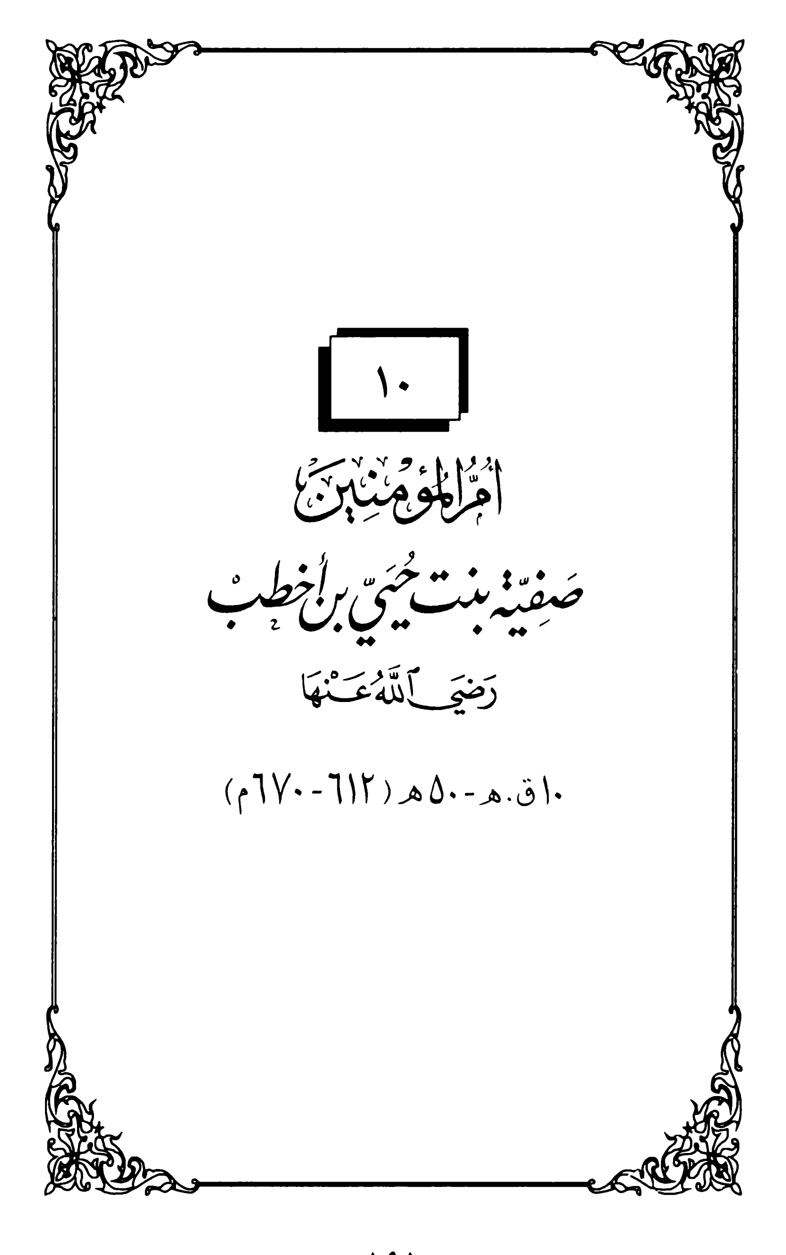
عاش رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، مع جويرية، رضي الله عنها، خمس سنواتٍ، ثم انتقل من الحياة الدنيا إلىٰ الآخرة في السنة الحادية عشرة من الهجرة. وعاشت هي بعده راضيةً مرضيةً مُنعّمةً عند الجميع مدة خمسٍ وأربعين سنةً إذ توفيت سنة ستٍّ وخمسين من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما. في المدينة المنورة، وصلّىٰ عليها أمير المدينة يومذاك مروان بن الحكم.

وروىٰ الحديث عن أُمّ المؤمنين جويرية، رضي الله عنها: حبر الأمة عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما،

(١) وزنتهن: عادلتهن بالوزن أو زادت عليهن وزناً.
(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٧٢٦. وأخرجه أبو داود.

وعبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري.

وروىٰ عنها من بعدهم: كريب مولىٰ عبد الله بن عباس، ومجاهد، والطفيل ابن أخيها، وأبو أيوب يحيىٰ بن مالك الأزديّ.



١٠

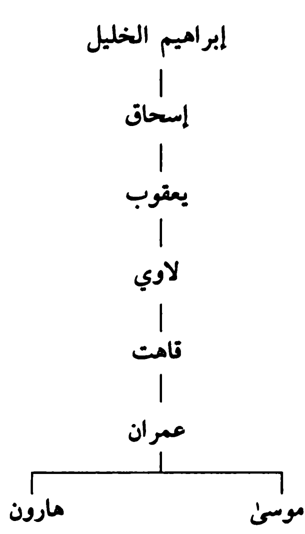
أم المؤمنين

صَفِيّة بنت حُيَيّ بن أخطب

رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

١٠ ق.هـ - ٥٠ هـ (٦١٢ - ٦٧٠م)

صفية بنت حُييّ بن أخطب بن سعية من نسل نبيّ الله هارون، عليه السلام، أخي نبيّ الله موسىٰ، عليه السلام، من سبط لاوي ابن نبي الله يعقوب، عليه السلام، ابن نبي الله إسحاق، عليه السلام، ابن نبيّ الله، إبراهيم الخليل، عليه السلام.



وكان حييّ بن أخطب من نسل من بقي علىٰ الديانة اليهودية، ومرّت الأيام وسكن بعض اليهود في يثرب (المدينة المنورة)، وكانوا يعودون إلىٰ ثلاث قبائل يهوديةٍ، وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

وبعد هجرة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ المدينة كان حُييّ بن أخطب سيّد بني النضير في المدينة. وبعد أن آخىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بين المسلمين من مهاجرين وأنصارٍ وادع يهود حرصاً علىٰ الأمن والهدوء، والعمل والراحة، ولكن يهود لا عهد لهم ولا ذِمّة فهمّهم وراء مصالحهم، وعملهم وراء منافعهم، حرصهم علىٰ جمع المال وتأمين الشهوة، وسلاحهم المال والجنس، ثم إن المبادئ السامية التي يحملها المسلمون ويسعون لتطبيقها تُناقض أفكار يهود ومبادئهم، ولكن ما دام ليس ليهود قوة ولا سلطان فإنهم يُظهرون الخنوع، ولكن لا يتركون الفساد وعمل السوء بالسرّ، ولا التخريب والفتن.

بنو قينقاع:

كان يهود بني قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. إذ أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جمع بني قينقاع في سوقهم بعد غزوة بدرٍ يريد تذكيرهم بالله، وتحذيرهم مما يقع به بعض الناس، فقال: يا معشر يهود،

احذروا من الله مثل ما نزل بقريشٍ من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، قالوا: يا محمد، إنك ترىٰ أنا قومك! لا يغرّنّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصةً، إنا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس.

وجاءت امرأة من العرب ببضاعةٍ لها فباعتها بسوق بني قينقاع، وجلست إلىٰ صائغٍ هناك، فجعلوا يريدونها علىٰ كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلىٰ طرف ثوبها فعقده إلىٰ ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين علىٰ الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدّت يهود علىٰ المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين علىٰ اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع.

فحاصر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بني قينقاع حتىٰ نزلوا علىٰ حكمه، فقام إليه عبد الله بن أُبيّ بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج في الجاهلية. فأبطأ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بالجواب،

فقال عبد الله: يا محمد، أحسن في مواليّ، فأعرض عنه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. فأدخل عبد الله يده في جيب درع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال له رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «أرسلني»، وغضب رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، حتىٰ رأوا لوجهه ظُللاً[1]، ثم قال: «ويحك! أرسلني»، قال: لا والله لا أُرسلك حتىٰ تُحسن في مواليّ، أربعمائة حاسرٍ (لا درع له) وثلاثمائة دارعٍ (عليه درع) قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداةٍ واحدةٍ، إني والله امرؤ أخشىٰ الدوائر، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «وهم لك». واستمرّ الحصار خمس عشرة ليلةً، وكان قائد الحصار بشير بن عبد المنذر (أبو لبابة). ثم أمر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بإجلائهم عن المدينة بعد أن نزلوا علىٰ حكمه، وبإجلاء الذراري، وغنيمة السلاح والعتاد، ولم تكن لهم أراضٍ، وإنما كان عمل أغلبهم الصياغة. وكانوا أشجع يهود المدينة، ولم يجرؤ بقية اليهود علىٰ مساندتهم خوفاً من المسلمين، علىٰ الرغم من كرههم

---

(١) الظلل: تغيُّر الوجه وتجهّمه حتىٰ كأن عليه ظلّ.

الشديد للمسلمين وحقدهم الدفين. وساقهم إلىٰ خارج المدينة عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، وانتقلوا إلىٰ أذرعات «درعاً» من بلاد الشام. ولم يستدر العام عليهم حتىٰ هلكوا.

وقد آلم انتصار المسلمين في بدرٍ كعب بن الأشرف أحد زعماء يهود بني النضير، ولكن أمه كانت من يهود بني قينقاع، إذ قال عندما بلغه انتصار المسلمين: بطن الأرض خير من ظهرها. وكان أحد الأغنياء المعروفين، وعُرف أنه من كبار المُرابين، ولم يتعظ بما حلّ ببني قينقاع، ولم يحسب حساباً لموادعة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لليهود والتي تنصّ علىٰ عدم مظاهرة قريشٍ أو تأييدها، بل نكث بالعهد، وخرج من المدينة يُحرّض قبائل العرب علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ويدعوهم إلىٰ حربه، حتىٰ وصل إلىٰ مكة فشجّع قريشاً علىٰ قتال المسلمين، وأثار حقدها، ووعد بدعمها. وأجاب أبا سفيان عندما سأله: أيّ الفريقين أهدىٰ قريش أم المسلمون؟ قال: قريش أكثر هدايةً.

رجع كعب بن الأشرف من رحلته، وأقام بالمدينة، وأخذ يُحرّض علىٰ قتال المسلمين، ويتغزّل

بنسائهم، ويذكر أسماءهن صراحةً، الأمر الذي آذىٰ المسلمين أشدّ الأذىٰ، وبهذا لم تَعُد له ذِمّة، ولم يبق له عهد، والتفّ حوله جماعة من اليهود أغراهم بماله ليُمالئوه، ويُظهروا حقيقة ما في نفوسهم، وأصبح خطراً علىٰ المسلمين، يُخشىٰ بأسه، فيجب القضاء عليه قبل أن يشتدّ ساعده، فأرسل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إليه محمد بن مسلمة الأنصاري مع جماعةٍ من الأنصار قاموا بقتله خارج حصنه المنيع في ضواحي المدينة بعد أن استدرجوه منه. وبعد هذا القتل لجأ يهود إلىٰ السكوت، وخافوا أن يقوموا بأية حادثةٍ، وأظهروا أنهم علىٰ عهودهم ومواثيقهم، والله يشهد إنهم لكاذبون.

إجلاء بني النضير:

خرج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ بني النضير في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة يستعينهم في دفع دِيَّة الرجلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أُميّة الضمريّ، فوافق بنو النضير، وقالوا: نعم يا أبا القاسم، نُعينك علىٰ ما أحببت، مما استعنت بنا عليه، وكان رسول الله، صلىٰ الله عليه

وسلم، جالساً بجانب جدارٍ لهم، فقال بعضهم لبعضٍ: من يستطع أن يعلوَ البيت، ويُلقيَ صخرةً علىٰ محمدٍ، فتعهد أحدهم بذلك، وهو عمرو بن جحاش بن كعب، فصعد إلىٰ السطح، وهمّ بذلك. ولكن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أُخبر بذلك من السماء، فترك مكانه من بين أصحابه الذين كانوا معه، مُتشاغِلاً ببعض حاجته، ورجع إلىٰ المدينة، فلما تأخّر عن أصحابه قاموا يسألون عنه، فالتقوا مع رجلٍ قادمٍ من المدينة، فأخبرهم أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد دخلها، فلحقوا به حتىٰ انتهوا إليه، فأخبرهم بما كان من يهود ومحاولة الغدر، وأمر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، الناس بالتهيّؤ لحربهم والسير إليهم. ولما استعدّ الناس سار إليهم، واستعمل عبد الله بن أم مكتوم علىٰ المدينة، حتىٰ إذا وصل إلىٰ منازلهم تحصّنوا بحصونهم. وكان عبد الله بن أُبيّ كبير المنافقين قد وعدهم بالنصر، وأمرهم بالثبات، وقال لهم: إن قوتلتم لنُقاتلنّ معكم، ولئن أُخرجتم لنخرجنّ معكم، ولا نُطيع فيكم أحداً، وإنا لن نُسلّمكم أبداً، إذ كان بينهم حلف.

وحاصرهم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم،

ستّ ليالٍ، وهم متحصّنون في حصونهم، ثم أمر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بقطع نخيلهم وحرقه، فنادوه من وراء الحصون: يا محمد، قد كنت تنهىٰ عن الفساد، وتُعيبه علىٰ من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقه؟ واليهود أحرص الناس علىٰ الحياة وعلىٰ الأموال. وقذف الله الرعب والخوف في نفوس المنافقين، فلم يجرؤوا علىٰ نُصرتهم. وألقاه في قلوب يهود، فطلبوا من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أن يُجليهم عن المدينة، ويكفّ عن دمائهم، علىٰ أن يكون لهم أخذ ما تحمله الإبل دون السلاح، فوافق رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. فمنهم من سار إلىٰ خيبر، ومنهم من رحل إلىٰ الشام. وكان من أشرافهم الذين بخيبر: سلام بن أبي الحُقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، وحُييّ بن أخطب (والد صفية، رضي الله عنها). فلما نزلوا فيها قدّمهم أهل خيبر عليهم، ودانوا لهم.

وهكذا لم يبق في المدينة من يهودٍ سوىٰ بني قريظة.

غزوة بني قريظة:

زاد حقد اليهود علىٰ المسلمين بعدما رأوا

انتصاراتهم وتوسّعهم، وبعد أن أُجلي بنو النضير عن المدينة زاد حقدهم وخاصةً هذه الفئة التي أقامت في خيبر، ففكّر قادتها أن يُحزّبوا الأحزاب من الجهات كلها ومن مختلف القبائل، وأن يقوموا بحملة رجلٍ واحدٍ على المدينة، فيقضوا على الإسلام، ويجتثّوا جذوره، وينالوا ثأرهم، فخرج لهذا الغرض من خيبر حُييّ بن أخطب، وسلام بن أبي الحُقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، وهوذة بن قيس الوائلي وغيرهم، واتجهوا إلى مكّة قاعدة قريش العدوّ الأول للمسلمين، ودعوها إلى حرب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقالوا لها: إننا سنكون معكم حتى نستأصله، فسُرّت قريش لهذا الخبر، وأعدّت العدّة لتلك الحرب المرتقبة.

وترك وفد خيبر قريشاً، واتجهوا إلى قبيلة غطفان، فدعوهم إلى حرب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأخبروهم بأنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد اتفقت معهم، فوافقوا على ذلك، كما وافقوا على الموعد المضروب بين قريشٍ ويهود.

خرجت قريش حسب الموعد المقرّر، وخرجت غطفان، ونقضت بنو قريظة عهدها مع رسول الله،

صلىٰ الله عليه وسلم، وكانت غزوة الخندق وأذلّ الله المشركين، وتفرّقت جموعهم، ورجعت قريش خائبةً بعد انسحاب غطفان، وحاول بنو قريظة أن يُعيدوا العهد مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، شريطة أن يعود بنو النضير إلىٰ ديارهم في المدينة، فرفض رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

عاد المسلمون من الخندق، ووضعوا السلاح، إذ بأمرٍ من السماء يأتي به جبريل، عليه السلام، إلىٰ رسول الله، فيقول له: أوَقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم»، قال: ما وضعت الملائكة السلاح، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالمسير إلىٰ بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزلهم.

أمر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، مؤذّناً، فأذّن بالناس: من كان سامعاً مُطيعاً فلا يُصلّينّ العصر إلا في بني قريظة، فأسرع المسلمون إلىٰ بني قريظة. ولما رأىٰ بنو قريظة المسلمين دخلوا حصونهم، واعتصموا بها، ودخل معهم حُييّ بن أخطب سيّد بني النضير الذي حملهم علىٰ الغدر بالمسلمين. وحاصرهم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، خمساً وعشرين ليلةً، فلما طال عليهم الحصار طلبوا من رسول الله، صلىٰ الله

عليه وسلم، أن يسمح لهم بالجلاء عن ديارهم بالشروط التي جلا فيها بنو النضير، فلم يقبل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، منهم، وإنما طلب منهم أن ينزلوا لحكمه دون شروطٍ. وأخيراً أعلن بنو قريظة الاستسلام، وفتحوا حصونهم، وألقوا سلاحهم، وحكم فيهم سعد بن معاذ سيّد الأوس حلفائهم في الجاهلية، وقد حكم بـ:

١" ـ أن تُقتل الرجال.

٢" ـ أن تُسبىٰ النساء.

٣" ـ أن تكون أموالهم غنيمةً للمحاصرين لهم من المسلمين.

٤" ـ أن تكون ديارهم كلها للمهاجرين دون الأنصار.

فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات».

ونُفّذ حكم سعد بن معاذ، رضي الله عنه، وانتهىٰ بذلك المسلمون من العدوّ داخل المدينة.

كان بعض سادة بني النضير الذي أقاموا في خيبر هم من الذين حزّبوا الأحزاب ضد المسلمين فكانت

غزوة الأحزاب (الخندق)، ومنهم ـ كما ذكرنا ـ سلام بن أبي الحقيق ـ فأرسل له رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، خمسة رجال من المدينة من الأنصار من الخزرج إلىٰ خيبر فقتلوه في بيته. وهو الزوج الأول لصفية بنت حُييّ بن أخطب، وقد تركها وتزوّج زينب بنت الحارث التي قدّمت شاةً مسمومةً لرسول الله.

غزوة خيبر:

رجع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من الحديبية في أواخر شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وأقام في المدينة ما يقرب من شهرٍ ونصف، ثم أمر بالاستعداد للمسير إلىٰ خيبر التي تُعدّ قاعدةً للإثارة والتحريض علىٰ المسلمين. فأخبر رأس المنافقين عبد الله بن أُبيّ يهود خيبر باستعداد المسلمين للتوجّه إلىٰ خيبر.

تحرّك الجيش الإسلامي نحو خيبر، وعدده ألف وخمسمائة مقاتلٍ، ومنهم مائتا فارسٍ. ووصلت أخبار المسلمين إلىٰ خيبر فأخذت يهود بالاستعداد، والتجؤوا إلىٰ حصونهم، ووضعوا النساء والأطفال والمؤن والعتاد في الحصون الخلفية، كما جاءتهم النجدات من

يهود فَدَك، وتيماء، ووادي القرىٰ، وبعض الأعراب من غطفان ودخلوا معهم في الحصون حتىٰ غدا عدد الذين في حصون خيبر أحد عشر ألف مقاتلٍ.

بدأ الهجوم علىٰ خيبر من الناحية الشمالية حتىٰ لا يهرب اليهود باتجاه إخوانهم في فَدَك، وتيماء، ووادي القرىٰ وإلىٰ الشام.

فتح المسلمون شطراً من خيبر وزحفوا إلىٰ الشطر الثاني، ودخلوا الحصن الأول فانهارت معنويات اليهود، واستسلموا، واتفقوا مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ أن يُخلي اليهود الحصون كلها، ويُسلّموا ما فيها إلىٰ المسلمين إضافةً إلىٰ أسلحتهم، وأن يجلوا عن خيبر إلىٰ الشام، وأن يأخذوا من الأموال ما يمكن حمله، وأن يُرشدوا علىٰ كنوزهم، وألا تُسبىٰ الذراري علىٰ الرغم من أن خيبر أُخذت عنوةً، ولكن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، تسامح معهم.

ثم سمح الرسول، عليه الصلاة والسلام، لليهود بالبقاء في خيبر ليعملوا أجراء في الأرض مقابل جزءٍ من المحصول يتفق عليه الطرفان، واتفقوا علىٰ أن يكون لهم نصف الثمار، ويحق للمسلمين أن يُخرجوا اليهود منها في أيّ وقتٍ شاءوا.

وبعد غزوة خيبر قدّمت زينب بنت الحارث زوج سلام بن مشكم بن أبي الحُقيق شاةً مذبوحةً مسمومةً لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وما أن تناول منها قليلاً حتىٰ شعر أنها مسمومة، فمنع أصحابه عن متابعة الأكل منها، فمات منهم من مات، وبقي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، يُعاني من أثر السُّمِّ حتىٰ توفي بعد أربع سنواتٍ. وكانت زينب متأثّرةً لقتل أبيها الحارث، وعمّيها ياسر ومرحب، وزوجها سلام بن مشكم، وقد قُتلت بعد اعترافها، وكان قتلها قصاصاً بموت بِشر بن البراء الذي مات مسموماً بالشاة.

وقد استشهد من المسلمين في خيبر ستة عشر رجلاً وقُتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً.

صفيّة بنت حييّ بن أخطب

ولدت صفية في السنة العاشرة قبل الهجرة فهي أصغر سنّاً من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بثلاثٍ وأربعين سنةً.

تزوّجت من سلّام بن مشكم بن أبي الحُقيق، ثم فارقها بعد مدةً، وخلفه عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق.

وفتح المسلمون حصون منطقة (الشقّ) في خيبر بعد قتالٍ عنيفٍ، وأخذوا منها السبايا، ومنهنّ صفيّة بنت حُييّ بن أخطب، وكانت زوجة كنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، ووقعت في سهم دِحية الكلبي، وأراد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أن تكون له فأخذها، وعوّض دحية عنها بسبعة رؤوس من السبيّ، وبعد أن أخذها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أعتقها، وخيّرها بين الإسلام واليهودية، فاختارت الإسلام، وعتقها صِداقها، إكراماً لأهلها عسىٰ أن يُسلموا.

وأُمّ سُليم هي التي هيّأت صفيّة لزواج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. وبنىٰ بها في مكانٍ يُسمّىٰ (الصهباء) بين المدينة وخيبر، وأولم هناك. وكان عمرها يومذاك سبع عشرة سنةً، وكانت تُكنىٰ (أُمّ يحيىٰ).

زعمت جارية لـ(صفيّة) أنها تُحبّ يوم السبت، وتصل يهود، فبعث عمر، رضي الله عنه، يسألها، فقالت: أما السبت فلم أُحبّه منذ أن أبدلني الله به الجمعة.

وأما اليهود، فإن لي فيهم رحماً، فأنا أَصِلُها.

ثم قالت للجارية: ما حملك علىٰ ما صنعت؟

قالت الجارية: الشيطان.

فقالت صفية، رضي الله عنها، في أناةٍ: فاذهبي فأنت حرّة.

وعُرفت، رضي الله عنها، بالصدقة والجود، فكان المال لا يستقرّ في كفّها. وتعرف أن ما عند الله خير وأبقىٰ، وتُدرك ما للصدقة من عظيم الأثر في النفوس، وما لها من ثوابٌ عظيمٍ عند الله، ولذا فإنه قد كانت لها دار فتصدّقت بها في حياتها طلباً لرضوان الله ومرضاته، واقتداءً بالنبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم.

روت صفية، رضي الله عنها، عشرة أحاديث عن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، منها حديث واحد متفق عليه في «الصحيحين» عند البخاري ومسلم. حدّث عنها: علي بن الحسين، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث، ومولاها كنانة.

عاشت صفية، رضي الله عنها، أربعين سنةً بعد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وتوفيت في السنة الخمسين من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان،

رضي الله عنهما، ودُفنت في البقيع في المدينة المنورة إلىٰ جوار أمهات المؤمنين.

قُتل أبوها حُييّ بن أخطب في السنة الخامسة للهجرة في غزوة بني قريظة حيث كان عند حلفائه يهود بني قريظة يُحرّضهم علىٰ نقض عهد المسلمين.

وقَتل زوجها الأول سلّام بن مشكم بن أبي الحُقيق في بيته في خيبر بيد خمسةٍ من الأنصار من المدينة لأنه كان من زعماء بني النضير الذين حزّبوا الأحزاب علىٰ المسلمين في غزوة الأحزاب (الخندق)، وكان مقتله في سنة ستٍّ من الهجرة.

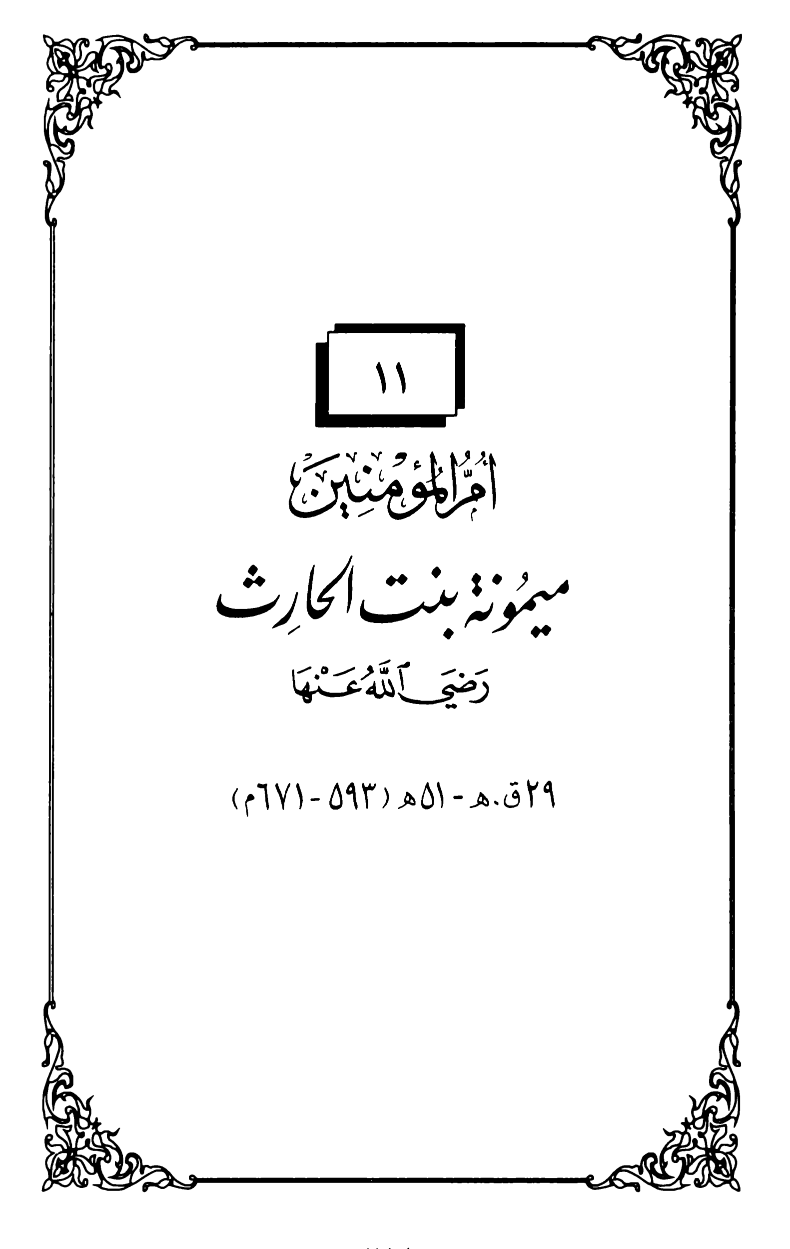
وقُتل زوجها الثاني كنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق في خيبر في السنة السابعةِ من الهجرة.

أُتي رسول الله بكنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضير، فسأله عنه، فجحد أن يكون يعرف مكانه، فأتىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، رجل من يهود، فقال لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: إني رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداةٍ، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أأقتلك؟» قال: نعم، فأمر رسول الله،

صلىٰ الله عليه وسلم، بالخربة فحُفرت، فأُخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبىٰ أن يُؤدّيه، فأمر به رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، الزبير بن العوام، أن عذّبه حتىٰ تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزَنْدٍ في صدره، حتىٰ أشرف علىٰ نفسه، ثم دفعه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة[1].

---

(١) السيرة النبوية: ابن هشام.



١١

أم المؤمنين

ميمونة بنت الحارث

رضي الله عنها

٢٩ق.هـ - ٥١هـ (٥٩٣ - ٦٧١م)

ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن الهُزم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية.

وأُمّها هند بنت عوف بن زهير.

ولدت سنة ٢٩ قبل الهجرة (٥٩٣م) فهي أصغر سنّاً من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بأربع وعشرين سنةً.

تزوّجت قبل الإسلام مسعود بن عمرو الثقفي ففارقها بعد مدةٍ.

وتزوّجت بعده أبا رُهْم بن عبد العُزّىٰ العامريّ والد أبي سَبْرة ابن عمّة رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، برّة بنت عبد المطلب. فمات عنها أبو رُهْم.

وتزوّج بها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد الفراغ من عمرة القضاء في السنة السابعة من الهجرة. وبعد الانتهاء من مناسك العمرة، أخذ عبد الله بن رواحة، رضي الله عنه، يرتجز الشعر، وهو مُتوشّح

بالسيف، وذلك بين يدي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وكان مما قال:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله
خلّوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمٰن في تنزيله
في صحفٍ تُتلىٰ علىٰ رسوله
يا ربِّ إني مؤمن بقوله
كما قتلناكم علىٰ تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مَقيله
ويُذهل الخليل عن خليله

وكانت ميمونة، رضي الله عنها، في مكة، وسمعت ما قيل فتأثّرت، وتمنّت أن تنال شرف الزواج من رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وتُصبح أُمّاً للمؤمنين، ولم تستطع الصبر فذكرت ذلك لأختها لبابة أم الفضل زوجة العباس، وأنها تحلم أن تكون زوجاً للرسول فينال بنو هلال شرف هذه المصاهرة كما نال الآخرون، وذكرت أُمّ الفضل ذلك لزوجها العبّاس الذي تكلّم بدوره إلىٰ ابن أخيه جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، فحدّث جعفر بذلك رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. فأرسل رسول الله، صلىٰ الله

عليه وسلم، أوس بن خوليّ وأبا رافع إلىٰ العباس ليزوّجه ميمونة، فحدّثها العباس فجعلت أمرها للعباس، رضي الله عنه.

وذُكر أنها، رضي الله عنها، ركبت بعيرها وانطلقت إلىٰ حيث كان الرسول، صلىٰ الله عليه وسلم، في قُبّته بالأبطح، فما أن وقعت عيناها عليه حتىٰ قالت: البعير وما عليه لله ولرسوله.

وتولّىٰ العباس، رضي الله عنه، الأمر، وقام به.

أقام رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ثلاثة أيامٍ، وهو الأجل المقرّر مع مشركي قريشٍ، فلما كان صباح اليوم الرابع، أتىٰ حُويطب بن عبد العزّىٰ ـ وقد أسلم فيما بعد ـ وآخرون من مشركي قريشٍ، فقالوا لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد انقضىٰ الأجل، فاخرج عنا فقد انقضت الثلاث، فقال، عليه الصلاة والسلام: «وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، فصنعت لكم طعاماً فحضرتموه؟».

فقالوا: لا حاجة لنا بطعامك، فاخرج عنا. فخرج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ونزل في

(سَرَف)[1]، وأقام بها. ولما خرج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من مكة، وخلّف مولاه أبا رافع ليحمل ميمونة بنت الحارث إليه حين يمسي. وخرج أبو رافع في المساء بميمونة ليلحق رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في سَرَف. وهناك أُقيمت خيمتها، وبنىٰ بها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

كان اسمها (برّة) فسمّاها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ميمونة، وسمّاها كذلك إذ كان زواجها ميموناً حيث كان بعد دخوله مكة لأول مرّةٍ بعد أن خرج منها مهاجراً.

كانت ميمونة، رضي الله عنها، آخر امرأةٍ تزوّجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

دخلت ميمونة، رضي الله عنها، في عداد أمهات المؤمنين ولم تتجاوز السادسة والثلاثين من عمرها (٢٩ق.هـ ـ ٧هـ = ٣٦). وعاشت مع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ما يقرب من خمس سنواتٍ (٧ ـ ١١هـ) ولم تُنجب له.

---

(١) سَرَف: موقع شمال غربي مكة يبعد عنها عشرين كيلومتراً، وقريب من عسفان.

عكفت ميمونة، رضي الله عنها، علىٰ العبادة فروت ٧٦ حديثاً، منها ثلاثة عشر حديثاً في «الصحيحين»، وقد انفرد البخاري بحديثٍ، ومسلم بخمسةٍ، واتفقا علىٰ سبعة أحاديث.

فهي بالرواية بعد عائشة، رضي الله عنها، التي روت ٢٢١٠ أحاديث.

وبعد أم سلمة، رضي الله عنها، التي روت ٣٧٨ حديثاً.

ومرض رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وهو عندها في حجرتها، ثم انتقل إلىٰ بيت عائشة، رضي الله عنها، ليُمرّض فيها، وذلك بعد أن أخبر نساءه واستأذنهنّ، وانتقل إلىٰ الحياة الآخرة، وهو في بيت عائشة، رضي الله عنها.

وشهدت أُمّ المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، لميمونة بصفاتٍ كريمةٍ منها التقوىٰ، وصلة الرحم، فقد قالت في حقها بعد وفاتها: ذهبت والله ميمونة، أما إنها كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم.

دخل علىٰ ميمونة، رضي الله عنها، أحد أبناء أختها، فوجدت منه ريح شرابٍ، فقالت: لئن لم

تخرج لأُرسلنّ إلىٰ المسلمين فيجلدونك، لا تدخل عليّ أبداً.

مرضت ميمونة، رضي الله عنها، بمكة، ثم طلبت فحُملت إلىٰ (سَرَف) حيث بنىٰ بها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم. فماتت سنة إحدىٰ وخمسين من الهجرة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، فصلىٰ عليها عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، ونزل في قبرها ولدا أختيها عبد الله بن عباس، ويزيد بن الأصم. وبذا تكون قد عاشت أربعين سنةً بعد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

مارية القبطية

مارية بنت شمعون القبطية ليست أُمّاً للمؤمنين بل هي جارية عند رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بعد صلح الحديبية بين رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وقريش. أرسل رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، للملوك والأمراء والحكام في جزيرة العرب والمجاورين رسلاً تحمل كُتباً يُبيّن الدعوة الإسلامية، ويدعوهم لالتزام الحق، والسير علىٰ سواء السبيل، ومن هؤلاء الذين أرسل لهم:

هرقل امبراطور الدولة الرومانية البيزنطية.

كسرىٰ أبرويز ملك الدولة الفارسية.

النجاشي ملك الحبشة.

المقوقس جُريج بن متّىٰ حاكم الاسكندرية والنائب العام للدولة البيزنطية في مصر.

وكان رسولُ نبيّ الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ المقوقس هو حاطب بن أبي بلتعة، رضي الله عنه. وقد تكلّم حاطب وأجاد، واستمع فأحسن الاستماع، فسُرّ

المقوقس غاية السرور، وقال له: أنت حكيم جاء من عند حكيمٍ، وأرسل معه هدايا لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وهذه الهدايا هي:

١" ـ جاريتان هما: مارية بنت شمعون، وأختها سيرين.

٢" ـ بغلة بيضاء.

٣" ـ أثواب مصرية.

٤" ـ خصيّ يُدعىٰ مابور.

وفي طريق عودة حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ المدينة عرض علىٰ مارية الإسلام ورغّبها فيه فأسلمت، وأسلمت أختها سيرين. ووصل الركب إلىٰ المدينة، فاختار رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، مارية فَنَعِمَتْ برعايته، وأعطىٰ أختها سيرين للصحابي حسان بن ثابت، رضي الله عنه.

لم تكن مارية زوجةً لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، بل كانت مُلك يمينه، وكانت بيضاء جميلةً، ووجدت رعايةً طيّبةً من سيّدها. وبعد مرور مدةٍ زفّت مارية لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، نبأ حَمْلها، فامتلأ قلبه فرحاً، وكان قد قارب الستين من العمر.

وبعد مدةٍ وضعت حملها كان غلاماً سمّوه (إبراهيم)، وكانت قابلتها أم رافع سلمىٰ، وبهذه الولادة أصبحت مارية حرّة حيث أعتقها ولدها. وتذكّر رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، خديجة، رضي الله عنها، وولادتها، وتصدّق الرسول علىٰ مساكين المدينة، وفي اليوم السابع من الولادة عقّ له بكبشٍ، وحلق رأسه، وتصدّق بوزن شعره فضةً علىٰ المساكين.

وعاش إبراهيم سنةً ونصف السنة، ثم توفي، رحمه الله.

روىٰ مسلم عن أنس، رضي الله عنه، قال: لقد رأيته - أي إبراهيم - وهو يجود بنفسه بين يدي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فدمعت عينا رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون».

وتوفي إبراهيم، رحمه الله، وصلّىٰ عليه رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ونزل في قبره الفضل بن العباس وأسامة بن زيد، رضي الله عنهم، ورسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جالس علىٰ شفير القبر.

وحزنت مارية علىٰ ولدها حزناً شديداً وأصابها ألم فهوّن عليها وواساها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ومما قاله لها مواسياً: «إن له مرضعاً يتمّ رضاعه في الجنة»[1].

وأخرج مسلم في «الصحيح» أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة»[2].

ومن المصادفات العجيبة التي حصلت يوم موت إبراهيم أن كُسفت الشمس، فظنّ قوم من المسلمين أن كسوفها إنما كان لموت إبراهيم ابن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وقالوا: كُسفت الشمس لموت إبراهيم. ولما بلغ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ما قاله الناس، وقف خطيباً فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلىٰ ذكر الله وإلىٰ الصلاة»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٦١٩٥).

(٢) رواه مسلم في الفضائل.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

وفي رواية البخاري: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلّوا وادعوا الله»[1].

وذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: أن الحسن بن عليّ، رضي الله عنهما، طلب إلىٰ معاوية في مفاوضات الصلح بينهما أن يرفع الخراج عن أهل قرية (حَفن) المصرية التي يعود أصل مارية القبطية إليها، فيها أخوال إبراهيم ابن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم،[2].

وذُكر أن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، قدِم مصر بعد فتحها، وسأل عن قرية (حَفن)، وسأل عن موضع بيت مارية، ومن ثم بنىٰ به مسجداً، وفاءً لذكراها، وإحياءً لسُنّة المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام.

أنزل الله سبحانه وتعالىٰ صدر سورة التحريم بسبب مارية القبطية.

كانت عائشة وحفصة، رضي الله عنهما، متحابتين، فذهبت حفصة، رضي الله عنها، إلىٰ بيت

(١) أخرجه البخاري في الكسوف.
(٢) معجم البلدان: مادة (حَفن).

أبيها فتحدّثت عنده، فأرسل النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ جاريته مارية، فظلّت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجهما، وغارت غيرةً شديدةً، فأخرج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، جاريته، ودخلت حفصة، فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سُؤتَني. فقال النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم: «لأرضينّك، فإني مسرّ إليك سرّاً فاحفظيه».

قالت: ما هو؟.

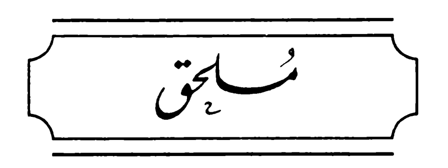
قال: «إني أُشهِدك أن جاريتي هذه عليّ حرام رضاً لك».

فانطلقت حفصة إلىٰ عائشة، فأسرّت إليها: أن أبشري أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قد حرّم عليه جاريته.

فلما أخبرت حفصة بسرِّ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، أظهره الله عليه.

وتوفي رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وهو عنها راضٍ. وكان الخلفاء الراشدون، رضي الله عنهم، يرعون حقها، وينفقون عليها.

وتوفيت مارية، رضي الله عنها، في شهر محرم من السنة السادسة عشرة في خلافة الفاورق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وصلىٰ عليها عمر، رضي الله عنه، ودُفنت بالبقيع إلىٰ جانب ابنها إبراهيم، وجانب أمهات المؤمنين.



وهناك جارية لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، هي (ريحانة) وهي مُلك يمينٍ له، ونساء أخرىٰ تزوّج بهنّ، ولكن لم يَبْنِ بهنّ لأسبابٍ، ومع ذلك فلا أرىٰ بُدّاً من ذكر أسمائهن لمعرفتهن وهنّ:

١" ـ ريحانة بنت زيد بن عمرو القرظية: من سبايا بني قريظة، قُتل زوجها (الحكم) أثناء هجوم المسلمين علىٰ بني قريظة، ثم استسلم بنو قريظة، ونزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ، رضي الله عنه، وهو ـ كما ذكرنا ـ أن تُقتل الرجال، وأن تُسبىٰ النساء، وأن تُؤخذ الأموال غنائم، وأن تمتلك الديار. فكانت النساء سبايا، ومن بينهنّ ريحانة. وكانت لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أي مُلك يمينه.

أسلمت ريحانة.

توفيت ريحانة في السنة العاشرة من الهجرة بعد أن رجع رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، من حجّة

الوداع. ودُفنت في البقيع إلىٰ جانب نساء رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

٢" ـ فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان الكلابية:
تزوّج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فاطمة في شهر ذي القعدة من سنة ثمانٍ للهجرة، فلما دخلت عليه، ودنا منها، قالت: أعوذ بالله منك، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «لقد عُذت بعظيمٍ، الحقي بأهلك». وتوفيت سنة ستين من الهجرة.

٣" ـ أسماء بنت النعمان بن أبي الجون بن الحارث بن شراحيل بن الجون بن آكل المرار الكندية:
كانت عند ابن عمٍّ لها، فمات عنها، فتأيّمت، وكانت من أجمل نساء العرب، وقد عرضها أبوها علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فوافق، وبعث رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، أبا أُسيد الساعدي مع أبيها ليأتي بها، فأتىٰ بها، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسعٍ من الهجرة.

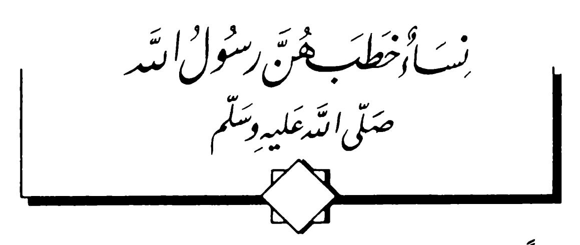
فلما أُتي بها إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، تعوّذت بالله منه، فانحرف عنها، وأعادها إلىٰ أهلها.

٤" ـ قُتيلة بنت قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة الكندية: أخت الأشعث بن قيس، عرضها أخوها الأشعث علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فوافق، وذهب الأشعث ليأتي بها، حتىٰ إذا فصل من اليمن بلغه وفاة النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، فردّها إلىٰ حضرموت، وارتدّ، وارتدّت معه فيمن ارتّد، ففسد النكاح بالارتداد.

٥" ـ مليكة بنت كعب الليثي: وتزوجها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، في شهر رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة، وقد فارقها قبل أن يبني بها.

٦" ـ سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة السلمية: ماتت قبل أن يصل إليها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم.

٧" ـ بنت جندب بن ضمرة الجندعي: وقد فارقها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، قبل أن يبني بها.



أولاً: ليلىٰ بنت الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث الأوسية: قد وهبت (ليلىٰ) نفسها لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «قد قبلتك ارجعي حتىٰ يأتيك أمري». فأتت قومها، فقالوا: أنت امرأة ليس لك صبر علىٰ الضرائر، وقد أحلّ الله لرسوله، صلىٰ الله عليه وسلم، أن ينكح ما شاء.

رجعت فقالت: إن الله قد أحلّ لك النساء، وأنا امرأة طويلة اللسان، ولا صبر لي علىٰ الضرائر. واستقالته. فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «قد أقلتك».

ثانياً: أم هانئ فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابنة عم رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأخت علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

خطب النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ عمه أبي طالب ابنته أم هانئ وذلك في الجاهلية، وخطبها كذلك هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فتزوجها هبيرة، فقال النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، لعمه: «يا عمّ زوجت هبيرة وتركتني؟»، فقال: يا ابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم.

ثم أسلمت أم هانئ، وبقي هبيرة علىٰ شِركه، ففرّق الإسلام بينهما. وفرّ هبيرة يوم فتح مكة، وبقيت أم هانئ، فخطبها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ نفسها، فقالت: والله إني كنت أحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام؟ ولكني امرأة مصبية، وأكره أن يؤذوك. فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «خير نساءٍ ركبن المطايا نساء قريشٍ، أحناه علىٰ ولدٍ في صغره، وأرعاه علىٰ زوجٍ في ذات يده».

وفي روايةٍ: أنها قالت لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: كيف بهذا ضجيعاً وهذا رضيعاً؟ لولدين بين يديها. فاستسقىٰ فأُتي بلبنٍ فشرب، ثم ناولها فشربت سُؤره، فقالت: لقد شربت وأنا صائمة. قال: «فما حملك علىٰ ذلك؟»، قالت: من أجل سُؤرك، لم أكن أدعه لشيءٍ لم أقدر عليه، فلما قدرت عليه شربته،

فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «نساء قريشٍ خير نساءٍ ركبن الإبل، أحناه علىٰ ولدٍ في صغره، وأرعاه علىٰ زوجٍ في ذات يده، ولو أن مريم بنت عمران ركبت الإبل ما فضّلت عليها أحداً».

وفي روايةٍ: أن أم هانئٍ قالت لرسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: يا رسول الله، لأنت أحبّ إليّ من سمعي وبصري، وحق الزوج عظيم فأخشىٰ إن أقبلت علىٰ زوجي أن أُضيّع بعض شأني وولدي، وإن أقبلت علىٰ ولدي أن أُضيّع حق الزوج، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «إن خير نساءٍ ركبن الإبل نساء قريشٍ، أحناه علىٰ ولدٍ في صغره، وأرعاه علىٰ بعلٍ في ذات يده».

وفي رواية: أنها قالت: يا رسول الله، إني موتمة وبني صغار. قيل: فلما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه، فقال: «أما الآن فلا» لأن الله أنزل عليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . .﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ولم تكن أم

هانئ من المهاجرات بل كانت من الطلقاء.

ثالثاً: ضباعة بنت عامر العامرية: وكانت عند هوذة بن علي الحنفيّ، فهلك عنها، فورثت منه مالاً كثيراً، فتزوجها عبد الله بن جدعان التيميّ، وكان لا يولد له، فسألته الطلاق فطلّقها، فتزوجها هشام بن المغيرة، فولدت له سلمة، وكان من خيار المسلمين، فتوفي عنها هشام. وكانت من أجمل نساء العرب، وأعظمهن خُلقاً، فذُكر جمالها عند النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، فخطبها إلىٰ ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة، فقال: حتىٰ استأمرها، وقيل للنبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم: إنها كبرت. فأتاها ابنها فقال لها: إن النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، خطبك إليّ. فقالت: ما قلت له؟ قال: قلت: حتىٰ استأمرها. فقالت: وفي النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، يُستأمر؟ ارجع فزوّجه. فرجع إلىٰ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، فسكت عنه.

رابعاً: صفية بنت بشامة العنبرية: وكانت قد أصابها سبيّ، فخيّرها رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «إن شئت أنا وإن شئت زوجك»، فقالت: بل زوجي. فأرسلها، فلعنتها بنو تميم.

خامساً: أم شريك غُزيّة بنت جابر بن حكيم

الدوسية من الأزد: كانت عند أبي العكر، فأسلم، وأسلمت معه، وهاجر مع أبي هريرة إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، مع دوس حين هاجروا، وبقيت عند أهل زوجها فعذّبوها، ثم أسلموا، وهاجروا جميعاً إلىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وقد عرفوا فضلها، وكان زوجها قد مات، فعرضت نفسها علىٰ النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، وكانت جميلةً قد أسنّت، فقالت: إني أهب نفسي لك، وأتصدّق بها عليك. فقبلها النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم، وأنزل الله فيها: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ. . .﴾ [الأحزاب: ٥٠].

سادساً: خولة بنت حكيم السلمية: كانت عند عثمان بن مظعون، رضي الله عنه، ومات عنها، وكانت من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي، صلىٰ الله عليه وسلم، فأرجأها، وكانت تخدم النبي، صلىٰ الله عليه وسلم.

سابعاً: أُمامة بنت الحمزة بن عبد المطلب: ابنة عمّ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وأمها سلمىٰ بنت عُميس أخت أسماء بنت عُميس زوجة جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه.

عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، ما لك تتوق في قريش، ولا

تتزوج إلينا؟ قال: «عندك شيء؟»، قال: قلت: نعم، ابنة حمزة، قال: «تلك ابنة أخي من الرضاعة».

ثامناً: خولة بنت الهذيل التغلبية: وأمها أخت دحية بن خليفة، وقد تزوج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، خولة، ولكن هلكت قبل أن تصل إليه.

تاسعاً: شَراف بنت خليفة بن فروة، أخت دحية بن خليفة الكلبي، بعد أن هلكت خولة بنت الهذيل تزوج رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، شَراف بنت خليفة، ولم يَبْنِ بها.

مهور نساء النبيّ، صلىٰ الله عليه وسلم

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان صداق رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، اثنتي عشرة أوقيةً ونشّاً، فذلك خمسمائة درهم. قالت عائشة، رضي الله عنها: الأوقية: أربعون، والنشّ: عشرون.

عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: لا تغالوا في صدقات النساء فإنه لو كان تقوى لله، أو مكرمة في الدنيا كان نبيكم، صلىٰ الله عليه وسلم، أولاكم بذلك، ما أصدق نساءه ولا بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وهي: ثمانون وأربعمائة درهم.

المُحْتَوىٰ

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

ملحق

الموضوع	الصفحة